جامعة عباس لغرور – خنشلة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة العلوم الإنسانية: تاريخ

تخصص: تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية

الرقم التسلسلي: .....

مشروع المجتمع في فكر محمد البشير الإبراهيمي .

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في شعبة: التاريخ، تخصص: تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية

إعداد الطالبات:

- تهاني الأنس صالحي
- نسرين بوغرارة

إشراف الأستاذ:

رفيق خليفي.

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
د. ياسين وادفلي	أستاذ محاضر	رئيساً
د.رفيق خليفي	أستاذ مساعد –أ-	مشرفا ومقرراً
أ.د. عيسى لتيم	أستاذ التعليم العالي	مناقشا وممتحنا

الموسم الجامعي: 2025/2024.

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

قال الله تعالى :

﴿يَرْفَعُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنْكُمْ
وَالَّذِين أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَاتْ﴾

صدق الله العظيم

سورة المجادلة الآية- 11-

شكـر وعرفـان

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

بعد الصلاة والسلام على خير الأنام نبينا ورسولنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

نشكر المولى عز وجل على منه وعطائه وتوفيقه لنا ونحمده لأنه هون علينا المتاعب لإكمال هذا البحث.

نتوجه بخالص شكرنا وعمق امتنانا إلى كل من قدم لنا يد العون والمساعدة لإعداد هذا البحث ، ونخص بالذكر أستاذنا المشرف " رفيق خليفي" الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته وإرشاداته القيمة،جزاه الله عنا خير الجزاء.

ونتقدم بالشكر أيضا إلى هيئة التدريس بقسم التاريخ وأعضاء أسرة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة عباس لغرور- كل باسمه

إهداء

﴿وكان فضل الله عليك عظيما﴾

باسم الله الذي لا يخيب من دعاه، ولا يضيع من توكل عليه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله ما تم جهد ولا ختم سعي إلا بفضله، وما تخطى العبد من عقبات وصعوبات إلا بتوفيقه ومعونته، بفضل الله أتممنا ميسرتنا الجامعية وبعد:

نهدي ثمرة عملنا إلى الوالدين الكريمين، أنتم السند ومصدر الأمان يا من وهبتمونا القلم فشكراً لكم.

إلى الضلع الثابت وأمان أيامنا إخوتنا...شكراً.

إلى رفاق الخطوة الأولى والخطوة ما قبل الأخيرة(آية-وسام-منار-نوال...) شكراً.

وأن آخر دعوانا الحمد الله رب العالمين.

خريجتكم:

نسرين/ تهاني الأنس

مقدمة:

مقدمة:

يعد محمد البشير الإبراهيمي أحد أبرز أقطاب الفكر الإصلاحي في العالمي الإسلامي عامة والجزائر خاصة في مطلع القرن العشرين، والذي يعتبره المفكرون والباحثون أيقون النهضة الفكرية ومدرسة من مدارسها ، والذي كان له الأثر الكبير والواضح في سيرورة الحركة الإصلاحية في الجزائر ، ذلك أنه عني أكثر من غيره من المصلحين بتدارس الواقع العام للجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي والتعمق في فهم مشكلات المجتمع وقضاياه ، انطلاقاً من رؤية واقعية تحديثية .

إن الإبراهيمي وطيلة مسيرته العلمية والعملية شكل نموذجاً فريدا للمفكر المصلح والعالم الاجتماعي ، خصوصاً وأنه كان شاهداً على واقع المجتمع الجزائري ، ومعايشاً لآلامه ومشكلاته وعارفاً بالمستعمر الفرنسي وسياساته القمعية التعسفية بحق الجزائريين، الأمر الذي دفعه لاستغلال أفكاره ومجاهداته الفكرية والاستثمار فيها لبناء مشروع مجتمع بأبعاد مختلفة ، حاول من خلاله الإبراهيمي إقامة خوارزمية سوسيواجتماعية ، تهدف إلى تحسين المجتمع الجزائري وإصلاحه اعتمدا على ما قدمه من أفكار وتصورات لذلك.

وفي هذا السياق فإن موضوعنا الموسوم بـ" مشروع المجتمع في فكر محمد البشير الإبراهيمي" يعتبر من أهم المواضيع التي شغلت فكر الدارسين والباحثين، حتى وإن لم تتم دراسته وفقا لهذا السياق ، فقد تمت دراسته من جوانب مختلفة متعلقة بالموضوع، كونه يسلط الضوء على أحد قامات الفكر العربي الإسلامي عامة والجزائر خاصة ومعرفة كيفية تشكل فكره، ويأتي هذا البحث كمحاولة للوقوف على الدور الذي لعبه الفكر الإبراهيمي في صياغة وبلورة مشروعه المجتمعي من خلال تتبعه لعلل المجتمع ونقائصه، محللاً إياها ومقترحاً الحلول لها.

أسباب اختيار الموضوع:

جاءت دراستنا لهذا الموضوع لجملة من الأسباب والمبررات التي تتراوح بين أسباب ذاتية وأخرى موضوعية والمتمثلة فيما يلي:

أ-الأسباب الذاتية:

سبب دراستنا لهذا الموضوع هو رغبتنا الشخصية وفضولنا العلمي لتقديم دراسة تحليلية لجانب هام من جوانب الفكر الإبراهيمي بخصوص المجتمع، وكذلك رغبة منا لتوسيع معارفنا والخروج بدراسة جديدة بعيدا عن المواضيع الروتينية المكررة.

ب-الأسباب الموضوعية:

من الأسباب الموضوعية التي دعتنا لدراسة هذا الموضوع هي محاولة منا إبراز وتسليط الضوء على مشروع المجتمع لدى البشير الإبراهيمي من خلال أفكاره وتصوراته.

إلى جانب الوقوف على المشكلات والقضايا التي عالجها الإبراهيمي والتي تلامس المجتمع الجزائري، ذلك أن الموضوع ينطوي على جانب حساس يكمن في تتبع وتحليل مشكلات الفرد والمجتمع معاً.

أهداف البحث:

إن الهدف من خلال هذه الدراسة هو تسليط الضوء على أحد أبرز رواد الفكر العربي الإسلامي الحديث الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، وإبراز مواقفه وأفكاره وآرائه بمختلف توجهاتها وأبعادها والتي ساهمت في بناء نسق اجتماعي جديد.

إشكالية البحث:

استندت أفكار الشيخ البشير الإبراهيمي على قاعدة فكرية إصلاحية في المقام الأول، والتي ركز فيها على تحليل الظواهر والقضايا التي عايشها والتي كانت ضمن مشكلات المجتمع الجزائري، ودراستها في مختلف آثاره ومؤلفاته ، وسعيا منا لدراسة هذا الموضوع والإحاطة به من كل الجوانب نطرح إشكالية مستنبطة أساساً من تلمس مختلف جوانب الموضوع والتي تتمحور حول:

مدى مساهمة محمد البشير الإبراهيمي من خلال فكره واجتهاداته في بناء نسق مجتمعي قائم على رؤية إصلاحية وتحديثية ؟

وللإحاطة بهذه الإشكالية من مختلف جوانبها، قمنا بطرح مجموعة من التساؤلات الفرعية نوجزها فيما يلي:

- من هو محمد البشير الإبراهيمي ؟ وكيف تكون فكره الإصلاحي والاجتماعي؟.

-ماهي أبرز عناصر مشروع المجتمع الإبراهيمي؟ وفيما تتمثل محاور مشروعه ؟.

-فيما تتمثل آليات تحقيق مشروع المجتمع حسب محمد البشير الإبراهيمي؟.

مناهج البحث:

للإجابة على الإشكالية المطروحة اعتمدنا على مناهج اقتضتها طبيعة الموضوع والمادة العلمية المتوفرة وهي:

-المنهج التاريخي : بأداتيه السرد والوصف والتحليل، على أساس أن الموضوع ينطوي على حقائق أحداث تاريخية تستدعي سرداً وترتيبا كرونولوجيا متصاعدا، كما استخدمناه في عرض سيرة الشيخ الإبراهيمي، وتتبع جذور فكره.

-منهج تحليل المضمون: من خلال تحليل أفكار وتصورات الإبراهيمي فيما يتعلق بتبلور مشروع المجتمع وتحليل أبعاده وتتبع محاوره وآليات تحقيقه.

الدراسات السابقة:

عند عرضنا للمراجع التي تناولت موضوع مشروع المجتمع في فكر محمد البشير الإبراهيمي،نقف عند بعض الدراسات التي تناولت الموضوع من زوايا مختلفة ذات صلة وطيدة به منها:

-مقال لمصطفى شطة **"من قضايا الفكر الإصلاحي الديني عند الشيخ البشير الإبراهيمي"**: وهو دراسة غنية في الفكر الإصلاحي التنويري للإبراهيمي، والذي لاشك شديد الصلة بموضوع مشروع المجتمع .

-أطروحة دكتوراه لبشير فايد بعنوان" **قضايا العرب والمسلمين في آثار الشيخ البشير الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان -دراسة تاريخية وفكرية مقارنة"**: تتناول ترجمة لكل من البشير الإبراهيمي وشكيب أرسلان، وعرض فكرهما، وقد تضمنت معلومات هامة بشأن الإبراهيمي وفكره ومواقفه. - **كتاب "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي في الجزائر" لأحمد الخطيب**: وهو مرجع غني لما يحتويه من معلومات حول نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ونشاط مفكريها منهم الشيخ الإبراهيمي، وقد اعتمدنا عليه في عدة جوانب من البحث خاصة في الفصل الأول والثاني فيما يتعلق بفكر الإبراهيمي وأيضا ماتعلق بظروف تبلور مشروع المجتمع لدى الابراهيمي.

-كتاب" **الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930"**لأبي القاسم سعد الله، ج2: والذي يحوي معلومات عن نشاط الحركة الوطنية مطلع القرن التاسع عشر وحتى منتصفه ، بما فيها نشاط جمعية العلماء المسلمين، أين كان للشيخ الإبراهيمي دور في إذكاء ذلك ، وقد اعتمدنا عليه في الفصل القاني من البحث فيما يخص عناصر مشروع المجتمع الإبراهيمي.

-**كتاب" الجزائر" لأحمد توفيق المدني** : والذي يتضمن معلومات هامة وغنية تتعلق بفترة الدراسة وتستعرض واقع المجتمع الجزائري خلالها، وقد استفدنا منه في الفصل الرابع من البحث بخصوص آليات تحقيق مشروع المجتمع لدى الإبراهيمي.

-مقال لأحلام بالولي بعنوان " **مظاهر الإصلاح في مقالات عيون البصائر لمحمد البشير الإبراهيمي"**: والذي تستعرض من خلاله أفكار ومجاهدات الإبراهيمي الإصلاحية في سبيل النهوض

بالمجتمع خاصة ماتعلق برصد المشاكل الإجتماعية ووصف الحلول لها، وعرض بعض القضايا الدينية والثقافية ، وقد اعتمدنا عليه في معضم فصول البحث خاصة الفصل الثاني فيما تعلق بظروف تبلور مشروع المجتمع، والفصل الثالث في عرض عناصر ومحاور هذا المشروع.

مصادرومراجع البحث:

من خلال جهدنا المتواضع في هذا البحث وقراءتنا للمادة العلمية،التي مكنتنا من الاطلاع على كل ما يخدم بحثنا، فقد تنوعت المادة الخبرية التي اعتمدنا عليها في إنجازنا للبحث بين مصادر ومراجع، بالنسبة للمصادر فقد اعتمدنا على:

-كتاب" **في قلب المعركة**" لمحمد البشير الإبراهيمي: تناول الكتاب جوانب عدة من شخصية الإبراهيمي من خلال عرض سيرته الحياتية ومسيرته العلمية وبعض من آثاره الفكرية، وقد اعتمدنا عليه في معظم فصول البحث خاصة الفصلين الأول والثاني فيما تعلق بالسيرة الحياتية للشيخ الإبراهيمي، وبعض جوانب تكون فكره الإصلاحي.

-كتاب"**آثارالإمام محمد البشيرالإبراهيمي**" للأحمد طالب الإبراهيمي بأجزائه الخمسة: والذي تناول أفكار واجتهادات الإبراهيمي الفكرية في سبيل إصلاح المجتمع الجزائري والنهوض به وعرض مختلف القضايا المتعلقة به من جوانب مختلفة، وهو مصدر غني يتناول مواقف وآراء الشيخ الإبراهيمي في مختلف القضايا المتعلقة بالمجتمع الجزائري، والتي وقف عليها وحللها ، وقد أفادنا كثيراً في مختلف جوانب البحث خاصة في عرض أفكاره بشأن بعض القضايا الاجتماعية وتبيان مواطن وبواعث الفكر المجتمعي لديه ، والوقوف على خطاباته ومجاهداته الفكرية في سبيل إقامة مشروع مجتمع بمختلف الوسائل من إصلاح وتعليم وصحافة وغيرها من الأفكار التي عرضها ضمن هذا الكتاب والتي اعتمدنا عليه في كل جزئية من جزئيات البحث.

-جريدة **البصائر** عددها الصادر سنة 1936: وهي مصدر هام تتناول مقالات عديدة منها تلك التي كتبها الشيخ الإبراهيمي في مختلف القضايا ، وقد اعتمدنا عليها في الفصل الأخير من البحث .

خطة البحث:

للإحاطة بالموضوع من مختلف جوانبه، عالجناه وفق خطة تتألف من مقدمة وأربعة فصول رئيسية وخاتمة.

الفصل الأول عالجنا فيه جذور الفكر الاجتماعي والإصلاحي لدى محمد البشير الإبراهيمي، من خلال تقديم ترجمة لشخصية الإبراهيمي، ثم التطرق إلى جذور فكره الاجتماعي ، فالفكر الإصلاحي .

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان مشروع المجتمع الإبراهيمي قراءة في الظروف ، الأهداف والأبعاد، وقد قسمناه إلى ثلاثة مباحث ، تناولنا في المبحث الأول ظروف تبلور مشروع المجتمع في فكر البشير الإبراهيمي، أما الثاني فيه عرض لأهم أهداف مشروع المجتمع في فكر الإبراهيمي، أما المبحث الثالث فقد أبرزنا فيه أبعاد المشروع المجتمعي لدى البشير الإبراهيمي.

وخصصنا الفصل الثالث، للتطرق إلى عناصر المشروع المجتمعي لمحمد البشير الإبراهيمي وأبرز محاوره، وقد قسمناه إلى ثلاثة مباحث، تناولنا في الأول أولويات مشروع المجتمع لدى الإبراهيمي، وعالجنا في الثاني عناصر البناء المجتمعي في فكر الإبراهيمي، وأفردنا الثالث للحديث عم محاور وركائز مشروع المجتمع الإبراهيمي.

أما الفصل الرابع والأخير، فقد تناولنا فيه آليات تحقيق مشروع المجتمع لدى البشير الإبراهيمي، وعرضنا ذلك من خلال ثلاث مباحث، الأول تناول العمل التعليمي التربوي، أما المبحث الثاني فعني بالعمل الجمعوي الإرشادي، في حين تضمن المبحث الثالث والأخير العمل الإعلامي كإحدى آليات تحقيق مشروع الإبراهيمي بخصوص المجتمع.

وأنهينا بحثنا بخاتمة استعرضنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث، إضافة إلى الملاحق وقائمة المصادر والمراجع.

الفصل الأول:

محمد البشير الإبراهيمي وجذور فكره الاجتماعي والإصلاحي.

المبحث الأول: ترجمة لشخصية محمد البشير الإبراهيمي.

المبحث الثاني: جذور الفكر الاجتماعي لدى الإبراهيمي.

المبحث الثالث: جذور الفكر الإصلاحي لدى الإبراهيمي

يعد محمد البشير الإبراهيمي أحد أبرز رموز الفكر والإصلاح في الوطن العربي عامة والجزائر خاصة خلال العصر الحديث، والذي خاض تجارب عديدة ساهمت في بناء فكره وفلسفته خاصة الاجتماعية والإصلاحية.

ولأن الإبراهيمي ابن وطنه ، وخبير بقضايا عصره ، فقد اقترن فكره بمعطيات ذلك العصر، فكان المنحى السوسيولوجي والإصلاحي أحد توجهات الفكر الإبراهيمي التي من خلالها انبنى مشروعه المجتمعي، ولفهم حقيقة هذا المشروع حري بنا أن نعرج على ملامح وجذور تكون الفكر الاجتماعي والإصلاحي لدى محمد البشير الإبراهيمي.

المبحث الأول: ترجمة لشخصية محمد البشير الإبراهيمي.

1-المولد والنسب:

هو محمد البشير الإبراهيمي، بن محمد السعدي، بن عمر بن محمد بن السعدي، بن عبد الله بن عمر الإبراهيمي، ولد يوم الخميس الرابع من شوال عام 1306هـ، الموافق لـ: 13 جوان1889م (الإبراهيمي، 2007، صفحة 95)، في قبيلة أولاد إبراهيم ، برأس الوادي (ولاية برج بوعريريج حاليا) (بوصفصاف، 2007، صفحة 84).

هذا ويتحدث الإبراهيمي في كتابه في قلب المعركة عن نسب قبيلته العربي القريشي يقول: **" فمما لاشك فيه أن نسبنا عربي صميم، إن لم يكن في قريش فهو في هلال بني عامر لأن موطننا الحاضر من المجالات الأولى التي كان لبني هلال فيها مضطرب واسع لأول هجرتهم من صعيد مصر في أواسط المائة الخامسة"** (الإبراهيمي، 2007، صفحة 95).

والإبراهيمي وحيد والديه من الذكور،وثالث أختين، أمه هي حدة بنت محمد (مهداوي، 1988، صفحة 33).

2-نشأته وتعليمه:

نشأ الإبراهيمي في وسط عائلة بسيطة محافظة مثلها مثل كل البيوتات العلمية الريفية، تلقى دروسه الأولى عن أبيه وعمه (نويهض، 1980، صفحة 13)، وكان هذا الأخير الشيخ محمد المكي الإبراهيمي معروفا في ريغة بعلمه وفكره (الإبراهيمي، 2007، صفحة 96). والذي تولى تربية وتعليم الإبراهيمي ورعايته، وتحفيظه القرآن الكريم في سن الثامنة، إلى جانب الكثير من العلوم العربية نثرا وشعرا وغيرها (الإبراهيمي، 2007، صفحة 97).

وكان الإبراهيمي يتمتع بذاكرة وحافظة قويتين، مكنتاه من فهم وحفظ ما كان يتجاوز سنه بكثير، أين حفظ وهو في سن الرابع عشرة، "ألفية العراقي" في السيرة النبوية، و "نظم الدول " لابن الخطيب، ورسائل لفحول كتاب الأندلس والشرق العربي وغيرها من المؤلفات (فايد، 2009-2010، صفحة 107).

نظرا للوضع الثقافي في الجزائر ، وتقييد التعليم العربي فيها ، اضطر محمد البشير الإبراهيمي إلى مغادرة وطنه طلبا للعلم، أين هاجر إلى المدينة المنورة 1911م ،ثم انتقل إلى دمشق سنة 1917م، واشتغل أستاذا للأدب العربي بالمدرسة السلطانية،وشارك في تأسيس المجمع العلمي العربي سنة1921م (نويهض، 1980، صفحة 13).

عاد إلى الجزائر، وشارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931، وكان نائبا لرئيسها عبد الحميد بن باديس، ثم انتخب رئيسا لها سنة 1940، وبعد سنوات من العمل والنشاط في الجمعية ، توجه إلى المشرق سنة 1952، متنقلا بين مدنه خاطبا ومرشدا (الإبراهيمي، 2007، الصفحات 101-103).

3- وفاته و آثاره:

بعد سنوات حافلة من العطاء الفكري والنشاط الإصلاحي،توفي محمد البشير الإبراهيمي يوم الخميس التاسع عشر من محرم1385ع، الموافق لـ: 19 ماي 1965م، عن عمر ناهز السادسة والسبعين عاما ، بمنزله في الجزائر العاصمة. تاركا خلفه تراثا فكريا متنوعا، في الأدب واللغة والفقه والمعاملات والشعر وغيرها، ومن أهم أعماله: النقابات والنفايات في لغة العرب، ،شعب الإيمان (2009، صفحة 13)،عيون البصائر(مجموعة مقالات كتبت في جريدة البصائر الصادرة في سلسلتها الثانية سنة 1947،و التي تناولت مواضيع متونعة ثقافية وسياسية) (سعد الله ج10، 2007، صفحة 197)، هذا وقد جمعت آثاره من قبل نجله أحمد طالب الابراهيمي في مؤلف تحت عنوان "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي" (عطا الله، 2011، صفحة 18) والذي جاء في خمسة أجزاء، و مؤلف بعنوان" رسالة الضب" و "كاهنة الأوراس"، و "أرجوزة " في 36 ألف بيت ضمنها تقاليد الشعب الجزائري وعاداته (نويهض، 1980، صفحة 14).

كما وترك ديوانا شعريا، تضمن مجموعة من القصائد التي ألقاها في المناسبات أو كتبها في آثاره، منها قصيدة كتبها ضمن رسالة موجهة إلى الأستاذ إبراهيم الكتاني، وأخرى بعنوان "تساؤل نفس" كتبها وهو في منفاه بآفلو(الأغواط) (هزرشي، 2016، الصفحات 13-15) ، وغيرها من القصائد الأخرى.

والحقيقة أن محمد البشير الإبراهيمي لم يركن إلى الكتابة والتأليف، بقدر ما عني بقضايا إصلاح المجتمع الجزائري، فقد آثر المصلحة العامة على مصلحته الشخصيه ، يقول: **"لم يتسع وقتي للتأليف والكتابة مع الجهود التي تأكل الأعمار أكلا..."** (بن نافلة، 2020، صفحة 83)، رغم ما له من ملكة فكرية وأدبية في مختلف العلوم والفنون، وكذا ذياع صيته في ربوع الوطن العربي، وهو ما سنستشفه من خلال تتبع جذور فكره الاجتماعي والإصلاحي، اللذان شكلا محور مشروع المجتمع الذي جاء به الإبراهيمي.

المبحث الثاني: جذور الفكر الاجتماعي لدى محمد البشير الإبراهيمي.

لفهم حقيقة المشروع المجتمعي الإبراهيمي، لابد من التعمق في فهم التكوين الفكري الاجتماعي لمحمد البشير الإبراهيمي، والوقوف عند ملامح تكونه.

المراد بالفكر الاجتماعي هو كل التصورات والأفكار المتعلقة بالفرد والمجتمع وذلك التفاعل الذي بينهما،فهو محصلة التفكير المشترك لأعضاء الجماعة، أو المجتمع أو الرابطة ، في المشكلات التي تواجههم وأساليب تحليلها والتغلب عليها (والي، 2005-2006، صفحة 8)، والذي على أساسه بنيت الفكرة الاجتماعية، والتي بدورها تختلف من مفكر إلى آخر، وبالنسبة لمحمد البشير الإبراهيمي، فإن البحث في فكره الاجتماعي يستدعي منا تتبع سيرته الحياتيه، ليس من منطلق السرد التاريخي، وإنما من باب إيراد استنتاجات تبين مدى ارتباط الجانب السوسيولوجي من سيرة الإبراهيمي بمشروع المجتمع الذي سنأتي على توضيحه في فصول لاحقة.

وتتضح جذوره في النقاط التالية:

1-التنشئة الأسرية للإبراهيمي:

ولد الإبراهيمي ونشأ في أحضان أسرة بسيطة محافظة، تعتز بالعلم والدين،مثلها مثل الكثير من الأسر الجزائرية التي كانت تهتم وتعتد بهما،فالبيئة العائلية للإبراهيمي كانت المحضتن الأول لفكره الإجتماعي ، أين غرست فيه القيم الأخلاقية الإيجابية ، وغرس الشعور الديني في نفسيته، وبالتالي كونت فيه شعورا ووعيا لاشك سيظهر في فكره .

وعن عراقة أسرة محمد البشير الإبراهيمي، وتمسكها بالدين الإسلامي في تنشأة أبنائها، يقول عادل نويهض: **" لقد انحدر الإمام محمد البشير الإبراهيمي من أسرة كريمة المحتد، يتحلى أفرادها بالإيمان العميق بالله سبحانه وتعالى، ويجعلون من سنة نبي الإسلام محمد، على آله وصحبه الصلاة والسلام. هديا لهم"** (نويهض، 2012، صفحة 17).

هذا وكان الإبراهيمي قد حفظ القرآن الكريم ، وتلقى تعليمه على يد أحد أفراد أسرته(العائلة الكبيرة) وهو عمه الشيخ المكي الإبراهيمي كما اشرنا أنفا، والذي كان ملازما له طيلة فترة تعلمه.

وعن دور أسرته في مسيرته التعليمية ، وكذلك فضل عمه في ذلك ، يقول الإبراهيمي: **" لم أفارق في تعليمي بيت أسرتي، فهي مدرستي التي تعلمت فيها وعلمت، أخذني عمي بالتربية والتعليم منذ أكملت السنة الثالثة، وكنت ملازماً له حتى في النوم، فكان لا يخليني دقيقة واحدة من فائدة علمية...."** (الإبراهيمي، 2007، صفحة 97).

فالتنشئة الأسرية للإبراهيمي على حب الدين والعلم والسعي في طلبهما، قد تركا بصمة لاشك في نفسية الإبراهيمي وفي تكون فكره الاجتماعي، ذلك أن الأسرة هي النواة الأولى لتكون المجتمع، وفيها تتضح ملامح التفاعل والارتباط الاجتماعي بين الأفراد ، وهو ما تترجمه علاقة الإبراهيمي بعائلته الصغرى (والديه)، وعائلته الكبرى ونعني هنا علاقته بمؤدبه ومعلمه عمه المكي الإبراهيمي، وإن دل ذلك على شيء إنما يدل على عمق الروابط الأسرية ومتانتها.

وبالتالي فالمحيط الأسري لمحمد البشير الإبراهيمي القائم على التربية الدينية والخلقية والعلمية، هو أول لبنة لميلاد تصور اجتماعي لديه، وهو ذلك التصور الذي من خلاله سيبني مشروعه المجتمعي.

2-المحيط المجتمعي المحلي:

الأكيد أن المحيط الأسري لا يكفي لتحديد أي تصور أو فكر اجتماعي، لأن الفرد في تفاعل وتناغم مع مختلف الأطراف الخارجية ، ليس فحسب مع المحيطين به من الأقارب وذوي الرحم، وهو الأمر الذي ينطبق على الشيخ البشير الإبراهيمي، هذا الأخير وبحكم ارتباطه الشديد بطلب العلم وتحصيله، فقد كانت له روابط مع من مثله من طلاب العلم وهذا خلال توليه حلقات التدريس خلفا

لعمه المتوفى سنة 1903، أين كان شيخا في سن الصبا (الإبراهيمي، 2007، صفحة 98)، وهو الأمر الذي غرس فيه نوعا من الغرور والاعتداد بالنفس.

بالمقابل هذه الملكة الفكرية التي تمتع بها الإبراهيمي، بفضل عمه الذي كان المربي والمعلم والموجه له، جعلته لا يكتفي فقط بالمحيط المحلي في طلب العلم وإنماء فكره، وإنما كانت دافعا له نحو المضي قدما في طلب العلم والتعرف على تجارب جديدة وإقامة صلات وروابط خارج محيطه.

3-المحيط المجتمعي الفرنسي:

المعروف أن محمد البشير الإبراهيمي ولد وعاش في ظل الوجود الفرنسي بالجزائر ، فقد عايش البيئة الفرنسية ، وكان مطلعا على ثقافتها وحضارتها، ومدركا تمام الإدراك لفساد الإدارة الفرنسية الاستعمارية ولمخططاتها.

ومن الأحداث التي سجلت طابعها على تفكيره، اعتقاله من قبل الحكومة الفرنسية أوائل الحرب العالمية الثانية بدعوى أنه يشكل خطرا على الأمن العام، ونفيه سنة 1940 إلى إحدى قرى الجنوب الوهراني (الإبراهيمي، 2007، صفحة 102)، هذا الحدث كان له الأثر الكبير على حياة الإبراهيمي الاجتماعية وعلى فكره، ذلك أنه أبان عن مدى حقد فرنسا تجاه علماء ومفكري الجزائر، كونهم أساس بناء المجتمع وتنويره.

وفي ذات السياق كان الإبراهيمي من خلال اطلاعه على واقع المجتمع الجزائري في ظل الاستعماري الفرنسي،قد مكنه من استقراء الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي وحتى العلمي للشعب الجزائري، ومعرفة الحالة النفسية للفرد الجزائري.

والحقيقة أن فكره الاجتماعي، قد بني على خلفية سوسيولوجية متناقضة، بين مجتمعين مجتمع عربي مسلم، والآخر غربي أوروبي، وهو الأمر الذي سيحدد المحاور والأولويات التي سيستقر عليها مشروعه المجتمعي. كون الإبراهيمي عاش في مجتمع عربي إسلامي وهو ما تأكده تنشأته وتربيته، وكان مطلعا على المجتمع الكولونيالي في الجزائر وعارفا بحقيقته وبأفكار المستعمر التي كانت منافية للمبادئ التي شب وتربى عليها، ودليل ذلك أن والده كان من الوطنيين المناوئين للاستعمار الفرنسي، ونتيجة اضطهاده اضطر للهجرة إلى المدينة المنورة (صداق وحمحامي، 2020، صفحة 166).

هـذا ولـم تقتصـر ملامـح هـذا الفكـر على اسـتقراء الواقـع الجزائـري المعـاش في تلكـم الفتـرة فحسـب، وإنمـا كـان لمكانـة الإبراهيمي في الأوسـاط الشـعبية ، وذيـاع صـيته دور في نمـو الفكـرة الاجتماعيـة لديـه، والتي مفادهـا أن التـرابط والاجتمـاع الإنسـاني ضـرورة ملحـة، وأن اتحـاد أفـراد المجتمـع فرصـة لتحقيـق التحـرر مـن نيـر الاسـتعماري الفرنسـي، وهـو مـا تكشـفه تـنقلات الإبراهيمي عبـر ربـوع الـوطن راشـدا وناصحا وشـاحذا للهمـم ومؤلفـا بـين القلـوب، ونسـتدل على ذلك،بنشـاطه في الناحيـة الغربيـة لتلمسـان بمـدنها وقراهـا على إثـر غلـق دار الحـديث سـنة 1938، أيـن كـان يلقـي المحاضـرات والـدروس، لتحريـك الخـاملين وتنبيـه الغـافلين، وهـو مـا اسـتنكرته فرنسـا واصـفة تلمسـان بمركـز التعصـب الـديني (الإبراهيمي ج1، 1997، صفحة 37).

4-تنقلاته ورحلاته للمشرق:

إضـافة إلى المحـيط الاجتمـاعي المحلي والفرنسـي الـذي عايشـه الإبراهيمي ورصـد تفاصـيله، ومـا ولـد لديـه مـن أفكـار، فقـد كـان أيضـا للبيئـة العربيـة المشـرقية خاصـة بـالغ الأثـر في تكـون فكـره الاجتمـاعي، مـن خـلال صـولاته ورحلاتـه بـين مختلـف المـدن العربيـة واحتكاكـه بالعديـد مـن المفكـرين والعلمـاء في كـل مـن المدينـة المنـورة ودمشـق والقـاهرة وتـونس، أيـن التقـى بالشـاعر أحمـد شـوقي، والمصـلح محمـد رشـيد رضا، ومحمد عبده وغيرهم (صالحي، 2017، صفحة 130).

فالبيئـة المشـرقية جعلتـه ينفـتح على المجتمـع المشـرقي، ويتعـرف على طباعـه وعاداتـه ، ويحتـك بعلمائهـا ويأخـذ عـنهم الفوائـد ، يقـول ابـن خلـدون: **"...فالرحلـة لابـد منهـا في طلـب العلـم لاكتسـاب الفوائـد والكمـال بلقـاء المشـايخ ومباشـرة الرجـال"** (ابـن خلـدون، 1981، صـفحة 745)، وكانـت بدايـة ارتحالـه للمشـرق سـنة 1911 أيـن التحـق بوالـده ، يقـول أحمـد طالـب الإبراهيمي: **" هـاجر جـدي الشـيخ السـعدي الإبراهيمي إلى المدينـة المنـورة عـام 1908م، هروبـا مـن ويـلات الاسـتعمار الفرنسـي، ولحـق بـه والدي عام 1911 م تأكيدا للتفاعل بين المشرق والمغرب..."** (الإبراهيمي ج1، 1997، صفحة 9).

ثـم تواصـلت رحلاتـه وتنقلاتـه بـين مـدن المشـرق ، والتـي كـان لهـا دور في تشـكل تصـوراته وأفكـاره بخصـوص المجتمع،وحرصـه على التمسـك بالأصـالة والتـراث العربـي الإسـلامي في ظـل الخبـل الاسـتعماري هـذا مـن جهـة، وتـأثره بحركـة التنـوير والتجديـد في العـالم العربـي مـن جهـة أخـرى ومـدى ارتبـاط ذلـك

بالفكر الاجتماعي لديه. فقد ارتحل إلى مصر ثم المدينة المنورة، منها إلى دمشق التي كان يلقي في جامعها الأموي دروس الوعظ والإرشاد (بن خوية، 2018، الصفحات 32-35).

هذا وقد كان لرحلاته بالغ الأثر في تعميق الصلة بينه وبين المشارقة، خاصة وأنه كان قد وضع برنامجا فكريا غنيا ، بين محاضرات وندوات في مختلف حقول العلم والأدب، والتي كان قد ألقاها في باكستان والعراق والقاهرة خلال سنة 1952، والتي ناولت مواضيع عدة في الدين والاجتماع والتاريخ ...إلخ (الإبراهيمي م.، 2007، صفحة 103).

ولعل المتفحص لمثل هذه البرامج الفكرية، يقف عند ذلك البعد الفكري الاجتماعي الذي صنعه الإبراهيمي، والذي ساهم من خلاله في التعريف بقضية وطنه وشعبه من جهة، والعمل على تأليب وجمع الجماهير المشرقية حولها من جهة أخرى، ليتكشف لنا ذلك الفكر الاجتماعي لدى الإبراهيمي ، المبني على عنصري التأثير والتأثر بين الأفراد والمجتمعات على اختلاف مواقعهم، لخلق فكر اجتماعي فعال قائم على تشارك نفس القيم الاجتماعية، كما جسدته محاضراته وخطاباته التي كان يلقيها في مختلف المناسبات بالمشرق العربي ، كالمحاضرة التي ألقاها بالقاهرة سنة1959 و المتعلقة بالثورة الجزائرية (الإبراهيمي م.، 2007، صفحة 189).

هذا وكان لتنوع وتعدد رحلات الإبراهيمي لمختلف البلدان الأثر البالغ في تكوين شخصيته العلمية ، وتوسيع مدركاته، وتصحيح مفاهيمه، وتوزيع تكوينه (صداق وحمحامي، 2020، صفحة 170)، فكل منطقة وكل مدينة زارها ساهمت في تكوين فكره الاجتماعي، وأخذ عنها أفكار تختلف عن بقية المدن الأخرى.

المبحث الثالث: جذور الفكر الإصلاحي لدى محمد البشير الإبراهيمي.

إن الحياة الاجتماعية تتسم دائما بالتغيير بفعل المؤثرات الداخلية والخارجية، وكانت البيئة الاجتماعية في الجزائر قد عرفت نوعا من الصحوة بفعل حركة الإصلاح التي جاءت لخلق وعي جماهيري بضرورة محاربة الفساد، والنهوض بالمجتمع في مختلف المجالات.

ولما كانت هذه الحركة لا قوام لها إلا بوجود فكر تجديدي إصلاحي لدى أعلام الفكر الجزائري، صار لزاما أن نبحث في جذور الفكر الإصلاحي لدى هؤلاء المفكرين من أبناء الجزائر ، وعلى رأسهم

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي كانت له قدم السبق في هذا الباب، متسائلين عن ملامح تكون الفكر الإصلاحي لديه.

لاشك أن محمد البشير الإبراهيمي مثلما خلق لنفسه فكرا وفلسفة اجتماعية، كذلك اجتمعت لديه كل المؤهلات والقدرات التي صاغت لديه ذلك التوجه الإصلاحي، الذي سيكون له دور في بلورة مشروعه المجتمعي، ومن خلال سيرته العلمية والعملية يمكننا أن نرصد مواطن تجذر وتكون الفكرة الإصلاحية لديه ، خاصة وأنه كان له لقاء مع رواد الأمة العربية المصلحين خلال تواجده بالمشرق، وبالتالي اشتد عوده ونضج فكره وغزر علمه في هذا الجانب (جباري، 2023، الصفحات 138-139).

1-التربية الدينية للإبراهيمي:

سبق وأشرنا في معرض حديثنا عن الفكر الاجتماعي لدى الإبراهيمي، إلى البيئة الأسرية ودورها في ذلك، خاصة وأن أسرته كانت على قدر كبير من العلم والعناية بالدين والاهتمام به وتدارس سنة النبي الكريم صلة الله عليه وسلم، وهو ما انعكس إيجابا على الإبراهيمي، إذ ساهم في بناء فكره الإصلاحي وترسيخ هذا الاتجاه، فالتربية الدينية للإبراهيمي مكنته من التعرف على واقعه ورصد مشكلاته، خاصة ما تعلق منها بالفساد الأخلاقي والمفاهيم المغلوطة التي تشوه صورة الإسلام والمسلمين.

والدارس الفاحص لآثار محمد البشير الإبراهيمي سيقف عند مدى تجذر الفكر الديني الإصلاحي ليس لديه فحسب، وإنما لدى أسرته ككل ، ودليل ذلك ما أورده في حديثه عن نشأته العلمية والدينية، وعن دور أسرته في ذلك، هذه الأخيرة التي توارثت العلم وعنيت بتدريسه والنفع به، قائلا: **"....أسرتنا التي توارثت العلم من خمسة قرون مضت في ما هو معروف، ومن نوابغها المعروفين الذين مازالت أسماؤهم دائرة على الألسنة، المعدودين من أعلام الفتيا والتدريس والانقطاع للنفع ابتغاء مرضاة الله: الشيخ محمد الشريف العمري الإبراهيمي، والشيخ المبارك الإبراهيمي...."** (الإبراهيمي م.، 2007، صفحة 96).

فالفكر الإصلاحي لدى الإبراهيمي، إن صح التعبير نابع من تكوينه الديني والتربوي، بفضل أسرته وباعها الطويل في تلقي العلم وتلقينه وحفاظها على الدين من جهة، وعلى اطلاعه الواسع على كل ما

تعلق بالعلم والدين، وثقافته الدينية الواسعة التي من خلالها بنى فلسفته الإصلاحية من جهة أخرى، كما أن فكرة الإصلاح كانت متداولة ومتجذرة في الثقافة العربية الإسلامية للبشير الإبراهيمي، فالإصلاح من بين تعاليم الإسلام الأساسية، لأن جذوره مستمدة من القرآن ذاته (بوصفصاف، 2009، صفحة 52)، وبالتالي كانت التربية الدينية التي تلقاها الإبراهيمي أرضا خصبة لنمو فكره الإصلاحي.

كما أن الفكر المستنير والإصلاحي، لا يتأتى لأي كان ، إلا لمن كانت له الملكة الفكرية والعناية البالغة بأمور الدين والدنيا، وتحصيل المنفعة ، ودرأ المضرة وصون الأمانة ،كما صوره القرآن الكريم في شخص يوسف عليه السلام، يقول تعالى: ﴿**وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي، فلما كلمه قال أنك اليوم لدينا مكين أمين، قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم**﴾(يوسف،54).

وقد اجتمعت كل هذه الصفات في شخص محمد البشير الإبراهيمي، ما جعله بحق أحد رواد الفكر الإصلاحي والداعين إليه والعاملين على تطبيقه، فقد كان فقيها بأمور الدين وعالما بأسرار القرآن والسنة وأسرار التشريع الإسلامي، وعارفا بأحوال وطبائع من يخاطبهم (بوصفصاف، 2007، صفحة 68)،وعمل على تطبيق ذلك في سبيل إصلاح المجتمع الجزائري، من خلال تشخيص مشاكله وتقدي

2-جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

لا يمكن للدارس أن يفهم فلسفة وفكر محمد البشير الإبراهيمي،ـ وكيفية تكونه إلا إذا تعمق في فهم فلسفة جمعية العلماء المسلمين في الإصلاح، هذه الأخيرة وحسب الإبراهيمي ليست تعنى بالأمور الدينية فحسب، وإنما تجاوزت ذلك إلى العناية بالجانب الاجتماعي والثقافي، ولا استقامة للإصلاح الديني إلا باستقامة الإصلاح الاجتماعي (مغازي، د ت، صفحة 2).

هذا ولا يخفى عنا ذلك الرابط الذي جمع الإبراهيمي بأخيه عبد الحميد بن باديس(1889-1940)، خلال تواجدهما بالمدينة المنورة ، أين كان منفتحا على أفكاره وآرائه، وما من شك أن تلك اللقاءات شهدت ميلاد فكرة تأسيس جمعية العلماء (الإبراهيمي ج1، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي 19129-1940، 1997، صفحة 9)، هذا وقد كان متأثرا بالثورة التعليمية والتربوية التي أحدثها عبد الحميد

بن باديس في قسنطينة منذ عام 1913 ، وتوجهه نحو التجديد التغيير، وتخرج على يديه العديد من العقول النيرة والنفوس الطامحة (الخطيب، 1985، صفحة 93).

وبعد عودته إلى الجزائر أوائل سنة 1920،قام الإبراهيمي بعمل علمي تمثل في بناء مسجد ومدرسة بسطيف (الإبراهيمي م.، 2007، صفحة 100)، ثم شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكان نائبا لرئيسها بن باديس، وكانا يتبادلان الزيارات ويناقشان أوضاع المجتمع الجزائري، ويضعان الخطط للنهوض بالشعب الجزائري وبناء المستقبل (شطة، 2015، صفحة 14)،و تواصل نشاطه حتى بعد أن عين رئيسا لجمعية العلماء المسلمين، وبقي وفيا لها ولمبادئها وأفكار رئيسها السابق عبد الحميد ابن باديس، وقد عبر محمد الغسيري عن وفاء الإبراهيمي لعبد الحميد بن باديس بقوله: **" الوفاء قليل في البشر، وأوفى الأوفياء من يفي للأموات لأن النسيان غالبا ما يباعد بين الأحياء وبينهم فيغمطون حقوقهم ويجحدون فضائلهم وما رأينا في حياتنا رفيقين جمع بينهما العلم والعمل في الحياة وجمع بينهما الوفاء حين استأثر الموت بأحدهما مثلما رأينا أمامي النهضة الجزائرية عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي"** (بن عدة، د ت، صفحة 115).

حقيقة أن البشير الإبراهيمي قد بنى فكره الإصلاحي على نهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وعلى شاكلة فكر ابن باديس التنويري التجديدي، حقيقة لا جدال فيها، ذلك أن كلا المفكرين عملا معا على إيجاد أرضية خصبة لإحقاق المشروع الإصلاحي في الجزائر، وهو ما ترجمته تلك الصلات واللقاءات التي جمعتهما خاصة في المشرق ، وتأثرهما بموجة الإصلاح التي عرفتها المنطقة.

3-الأفكار الإصلاحية في العالم الإسلامي:

لقد ساهمت الرؤية الإصلاحية الشمولية لمفكري ومصلحي المشرق الإسلامي، في تجاوز الحدود التي فرضها المنطق الاستعماري، وانتقالها إلى المغرب مطلع القرن العشرين وتحديدا الجزائر ، بفضل ثلة من أبناء الجزائر الذين تلقوا الأفكار الإصلاحية الناضجة بالمشرق وتأثروا بها وعادوا بها إلى وطنهم (الإبراهيمي ج1، 1997، صفحة 182)، أين لاقت أفكار الإصلاحية رواجا في الأوساط الجزائرية ،والتي تلقتها واحتضنتها العديد من الشخصيات وأعلام الفكر بالجزائر.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإبراهيمي كان من أوائل المفكرين الذين نمت لديهم الفكرة الإصلاحية ، ونلمس ذلك خلال تواجه بالمشرق العربي، واحتكاكه بالعديد من المثقفين والمفكرين، وتأثره بأفكار الشيخ محمد عبده(ولد1849-توفي1905م، مصلح مصري)، وجمال الدين الأفغاني ، ورشيد رضا الذي قابله في سوريا عندما غادر الحجاز للإقامة بها (حليمي، 2013-2014، صفحة 19) ، وغيرهم من المفكرين المصلحين، الذين استلهم منهم الفكر الإصلاحي وعمل على تجسيده بالجزائر وإسقاطه على واقع الجزائريين، خاصة وأنه كان متأثرا أيما تأثر بالمصلحين الجزائريين أمثال أبو يعلى الزواوي (1862-1952).

وقد ألفنا الإبراهيمي مرتحلا ومتنقلا بين مدن المشرق العربي،وهو ما ساهم بشكل كبير في إنماء ملكته الفكرية وتوجهه الإصلاحي، أين اجتمع برجال الفكر والأدب خلال تواجده بدمشق والحجاز والمدينة المنورة، فتعرف وهو بدمشق على جمال الدين القاسمي، وشيخ الجماعة محمد بهجت البيطار وغيرهما ، فوجد فيهم الرفقة الصالحة (بوجلال، د ت، صفحة 7)، كما أنه اضطلع بالعديد من المهام وتبوأ وظائف ومناصب علمية مكنته من بناء روابط فكرية متينة مع المشارقة، منها توليه التدريس بالمدرسة السلطانية بدمشق (الإبراهيمي م.، 2007، صفحة 100).

فالفكر الإصلاحي للبشير الإبراهيمي تكون لديه في إطار حركة التنوير والتجديد التي عرفها المشرق الإسلامي والتي تعرف عليها من خلال احتكاكه بمفكريها (جباري، 2023، صفحة 138)، والانفتاح العقلي والمعرفي، الذي يستدعي تبادل الذاكرة الجمعية لأجل الرقي بالفكر وتحقيق نوع من التواصل والتطور، واستقبال فكر الآخر-الفكر المتنور الصالح لا الطالح-، وهو ما أوضحته نشاطات الإبراهيمي الثقافية والفكرية في ربوع المشرق العربي من خلال تدارس مختلف العلوم وإلقاء المحاضرات والندوات.

ونظرة فاحصة في آثاره تنبئ عن فكر متجدد مستنير،ونحن لا ننكر تلك الانتقالية الفكرية للفكر الإصلاحي من المشرق إلى المغرب، واستفادة الإبراهيمي من ذلك في صناعة فلسفته الإصلاحية والتنويرية ، وأيضا لا نجحد القول أنه ساهم بنفسه في تكوين فكره الإصلاحي، هذا الفكر الذي يتجذر في عمق تكوين شخصيته،فقد خبر حقيقة الإصلاح وهو لا يزال فتيا ، من خلال اطلاعه وثقافته الواسعة، التي مكنته من فهم واستيعاب أفكار العلماء والمصلحين، فقد كان على قدر كبير من النباهة والقدرة على الحفظ واستيعاب الكثير من الأعمال الفكرية والأدبية كما أشار إليه في

معرض حديثه عن سيرته الحياتية والعلمية، إلى جانب لقائه بعلماء ومشايخ مصر خلال تواجده بها، وحضوره حلقات العلم ومجالسه والأخذ عن علماء الحرم المدني (بن خوية، 2018، الصفحات 6-7).

ومن هنا يمكن أن نستخلص أن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، قد مثل أحد أقطاب الفكر الحديث ، فقد تناقل ذكره المخبرون والدارسون، لما له من مكانة علمية وأدبية، ولشخصه الذي اجتمعت فيه كل صفات العالم البارع والمفكر الفذ والمصلح المقتدر، خاصة وأنه عاش في كنف عائلة عريقة نسباً وتاريخاً ومكانة علمية، وهو ما هيأ له الظروف المناسبة ، لينشأ تنشئة تربوية وخلقية ممتازة ، كما وحضي بعناية فائقة من قبل أسرته التي دأبت على تلقينه مختلف العلوم الدينية والدنيوية وتحفيظه القرآن الكريم، وهو أمر ليس بالجديد على البيوت الجزائرية في تلكم الفترة **"القائمة على البساطة في المعيشة والطهارة في السلوك والمتانة في الأخلاق، والإعتدال"** (الإبراهيمي م.، 2007، صفحة 96).

فالإبراهيمي ورغم الظرف الاستعماري الذي عاش فيه ، إلا أنه تمكن من النهل من مختلف العلوم في وقت كان فيه التعليم العربي يعاني من تضييق إدارة الاحتلال، وتواصل شغفه بالعلم والمعرفة لحد مغادرته الجزائر والتحاقه بوالده في المشرق للاستزادة من العلم بعيدا عن مضايقات الاستعمار، وقد كانت هذه المرحلة أخصب مراحل حياة الإبراهيمي، فخلالها تعرف واحتك بمختلف علماء المشرق وأدبائها،خاصة خلال تواجده بالمدينة المنورة والتي كانت أيامه فيها أيام خير وبركة (صداق وحمحامي، 2020، صفحة 170).

بعد رحلاته وتنقلاته بين مدن المشرق عاد إلى الجزائر ، وشارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين، وتولى رئاستها فيما بعد، ثم قيادة الحركة الإصلاحية بالجزائر ، وبقي على ذلك ، رغم مضايقات المستعمر، ونفيه ، إلا أنه بقي وفيا لعمله ، إلى أن وافته المنية سنة 1965.

والباحث في جذور وتكون الفكر الاجتماعي والإصلاحي عند البشير الإبراهيمي، تستوقفه سيرته العلمية والعملية، التي تأكد على ارتباطها بتكون فلسفته الاجتماعية والإصلاحية، خاصة وأنه كان المفكر والشخصية الأكثر تأثرا بالثقافة العربية الإسلامية وتأثيرا فيها،وهو ما نستشفه من خلال دراستنا لجذور فكره الاجتماعي ، هذا الأخير الذي تكون لديه بفضل تنشئته الأسرية التي غرست فيه حب العلم والدين والسعي في طلبهما، باعتبارهما أساس بناء الفرد والمجتمع، وكذلك كان لمحيطه

الاجتماعي المحلي والفرنسي دور في تكون الفكر الاجتماعي لديه، إلى جانب ما قدمته له رحلاته في المشرق من أفكار بخصوص الجانب الاجتماعي ومدى ارتباط ذلك بتكون الفكر المجتمعي لديه.

ناهيك عن الفكر الإصلاحي الذي تميز به الإبراهيمي، والذي تمتد جذوره إلى تربيته الدينية والخلقية التي غرست فيه حب الدين وارتباط هذا الأخير بالإصلاح، إلى جانب علاقته بجمعية العلماء المسلمين ورئيسها بن باديس (الإبراهيمي م.، 2007، الصفحات 96-101)، وهو ما ساهم في صناعة وبلورة فكره الإصلاحي، هذا وننوه إلى الحركة الإصلاحية بالمشرق ودورها في تكون فلسفة الإبراهيمي التنويرية الإصلاحية، من خلال احتكامه بالمفكرين في المشرق وتأثره بأفكار المصلحين هناك، وحتى في الجزائر.

فالشيخ محمد البشير الإبراهيمي، صاحب فكر واسع وأكثر عمقًا ، فإن أحدا لا يستطيع أن يوفيه حقه من الدراسة وأن يدرك معالم وملامح تكونه كلها، وما قدمناه بخصوص فكره الاجتماعي والإصلاحي ، ما هو إلا دراسة واستقصاء لفكره للوقوف على جوانب مشروعه الفكري المجتمعي .

الفصل الثاني:

مشروع المجتمع الإبراهيمي قراءة في الظروف الأهداف والأبعاد

المبحث الأول:ظروف تبلور مشروع المجتمع في فكر البشير الإبراهيمي.

المبحث الثاني:أهداف مشروع المجتمع في فكر البشير الإبراهيمي.

المبحث الثالث:أبعاد المشروع المجتمعي في فكر البشير الإبراهيمي.

مثل الفكر الإبراهيمي في بلاغته وأدبه وجلالة صلته بالفكر الإصلاحي والاجتماعي، فكرا غنيا وخصبا ، تمكن من خلاله محمد البشير الإبراهيمي من عرض مختلف تصوراته وآرائه الفكرية، خاصة تلك المتعلقة بالجانب الاجتماعي، والتي على أساسها انبنى مشروع المجتمع الذي جاء به.

ولما كان فكر الإبراهيمي من الاتساع بمكان ، لفهم جهوده واجتهاداته لأجل بناء مشروع مجتمعي ، قوامه إصلاح المجتمع والنهوض به، كان لزاما علينا تتبع كيفية تبلور فكرة هذا المشروع لدى الإبراهيمي، خاصة وأنه جاء في ظل ظروف وواقع جد معبر عن زمان وتحديات ذلك العصر ،الأمر الذي استدعى منه النظر في واقع المجتمع، والعمل على بناء النسق المجتمعاتي بصورة تتماشى ورهانات عصره.

وفي هذا الفصل سنحاول وبشيء من التفصيل استقراء الظروف التي أوجدت أرضية مشروع المجتمع لدى الإبراهيمي، مع تسليط الضوء على أهداف وغايات هذا المشروع، والوقوف على أبعاده.

المبحث الأول:ظروف تبلور مشروع المجتمع في فكر الشيخ البشير الإبراهيمي.

جاء مشروع المجتمع الذي أوجده ونظر له الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ترجمة وانعكاسا لجملة من الظروف التي طبعت واقعه سواء في بلده الجزائر أو خارجه،هذه الظروف التي ميزته منذ مطلع القرن العشرين وحتى مرحلة لاحقة إلى غاية ثلاثينيات القرن.

وعليه لم يكن مشروع الإبراهيمي المجتمعي وليد الصدفة ، ولم يكن يمثل فكره الاجتماعي والإصلاحي في حد ذاته، ولكن تم في مناخ زاوج بين الظرفين المحلي الداخلي والإقليمي الخارجي الذي ميز تلكم الفترة، وفيما يلي توضيح لهذه الظروف:

1-الظروف الداخلية:

أ-الوضع العام للمجتمع الجزائري:

جاء المشروع الإبراهيمي المتعلق بالمجتمع في وقت كان فيه المجتمع الجزائري يتخبط في دوامة الإستعمار، من معاناة اجتماعية وتزعزع اقتصادي، جراء سياسته التعسفية القائمة على فرض السلطة السياسية والهيمنة الاقتصادية والغزو الثقافي.

هذه السياسات التي وإن حاولت الإدعاءات المضللة سترها، إلا أنها انكشفت وكشفت عن نوايا المستعمر في فرض منطق الهيمنة والسلطة على المجتمع الجزائري،وتجريد هذا الأخير من كل ما من شأنه أن يحقق تطوره وازدهاره.

ليس الغرض في هذا المقام السرد التاريخي لواقع المجتمع الجزائري ولا استعراض تفاصيله،وإنما الغرض هو استقراء لوضع المجتمع الجزائري في ظل الاستعمار، هذا الواقع الذي عايشه ووقف على حيثياته البشير الإبراهيمي، والذي ساهم في تبلور فكرة مشروع المجتمع لديه.

الملاحظ أن المجتمع الجزائري كما سبق وذكرنا، بدايات القرن العشرين كان يعاني من وقع السياسة التعسفية الفرنسية، هذه السياسة المنافية لكل القيم والمبادئ الاجتماعية،والتي أتى الإبراهيمي على ذكر ملامح عنها في كتابه " في قلب المعركة"، أين أوضح تلك النوايا الاستعمارية الفرنسية الرامية إلى استغلال الجزائريين، وجعلهم أداة في يد فرنسا، من خلال استغلال ظروفهم الاجتماعية خاصة في سنوات المجاعة، أين كانت تسوق شباب الجزائر لمعسكرات التجنيد، وأطفالها

لـدور التنصـير، وتخلـق أزمـات اقتصـادية في بلـد عـرف بـالخيرات والثـورات، وتُفقـر الأهـالي بحرمـانهم مـن أراضيهم ومنحها للمعمرين (الإبراهيمي م.، 2007، الصفحات 196-197).

هـذا وعمـدت إدارة الاحـتلال إلى اسـتهداف كـل مـا لـه صـلة بـالمجتمع الجزائـري ، مـن خـلال حرمـانهم مـن حقـوقهم ، كمـا ترجمـه قـانون 19 ديسـمبر1900م، الـذي مـنح المعمـرين قـوة وحقـوق عـدة في مختلـف المجـالات كحـق التمثيـل النيـابي، والإشـراف علـى المواصـلات وغيرهـا مـن الحقـوق التـي حـرم منهـا الجزائريـون (سـعد الله، 1983، صـفحة 86)، ناهيـك عـن سياسـة الإصـلاحات التـي جـاءت بهـا إدارة الاحـتلال لترضـية الجزائـريين خاصـة منهـا إصـلاحات فيفـري 1919م، التـي حاولـت مـن خلالهـا فرنسـا ترضـية الجزائريين المشاركين إلى جانبها في الحرب العالمية الأولى 1914-1918 (فايد، 2009-2010، صفحة 13).

وقـد كـان الشـيخ الإبراهيمي على اطـلاع وعلـم بهـذا الوضـع ، خـلال تواجـده بالمشـرق وحتى بعـد عودتـه إلى الجزائـر، أيـن وقـف على عمـق الوطـأة الاسـتعمارية واتسـاع سياسـتها، كمـا أوضـحه في حديثـه عـن إصـلاحات فرنسـا لسـنة 1947، والتـي قـال عنهـا: **" إصـلاحات الجزائـر التـي شـكلت لهـا إدارة كاملـة، وحشـر فيهـا مـن المـوظفين جنـد، وخصـص لهـا في الميزانيـة مـال، وقـدرلهـا مـن العمـر مـال، ولـم يكـن لهـا مـن العمـل إلا التقريـرات والملفـات وأسـماء المشـروعات، ويقـال أنهـا أخـذت بالحسـم والحـزم، فبـدلت اللقـب والاسـم، وانتقلـت مـن تنفيـذ العهـود والشـرائط إلى وضـع الخـرائط والبركـة في الأوراق"** (الإبراهيمي م.، 1997، صفحة 507).

يضـاف إلـى هـذا الوضـع الاقتصـادي المتـدهور جـراء السياسـة الفرنسـية كـذلك، التـي اسـتهدفت اقتصـاديات الـبلاد، وممتلكـات الجزائـريين وثـرواتهم وتصـييرها لخدمـة الاقتصـادي الرأسـمالي الفرنسـي، وهـو مـا ولـد اخـتلالا في التـوازن المـادي والبشـري للمجتمـع، ذلـك أن أغلـب الجزائـريين أصـبحوا خماسـين وأجـراء في أراضـيهم التي أصـبحت بيـد المعمـرين، فضـلا عـن تـدني الـدخل وارتفـاع الضـرائب ، هـو الأمـر الـذي أثـر بشـكل كبيـر على التركيبـة الاقتصـادية والاجتماعيـة للمجتمـع الجزائـري (لبيـد، 2010-2011، صفحة 50).

ناهيـك عـن تقـويض المؤسسـات الثقافيـة والتصـدي لكـل أشـكال التعلـيم العربـي الإسـلامي ونشـر التعلـيم الفرنسـي واعتبـار اللغـة الفرنسـية هي اللغـة الرسـمية والشـعبية في الـبلاد، واعتبـار اللغـة العربيـة لغة دخيلة على الجزائر، في محاولة لاجتثاث الثقافة العربية الإسلامية (نويهض، 2012، صفحة 39).

هـذا وقـد تزايـد القمـع الثقـافي الفرنسـي الـذي طـال التعلـيم العربـي مـع مطلـع القـرن العشـرين، حيـث سـنت الإدارة الفرنسـية عديـد القـوانين التي مـن شـأنها عرقلـة التعلـيم العربـي، وفـتح المجـال أمـام التعلـيم الفرنسـي، بـدأً بقـرار 24 ديسـمبر1904م القاضـي بعـدم فـتح أي مدرسـة لتعلـيم العربيـة دون رخصـة ، وقـرار 21 مـارس1908م الـذي ألغى التعلـيم الابتـدائي للجزائـريين، منـه إلى قـراري 22جويليـة 1945 وقـرار 20 سـبتمبر 1947، حيـث يقضـي الأول بضـرورة تعلـم معلمي اللغـة العربيـة اللغـة الفرنسـية ، أمـا الثـاني فيتعلق بتدريس اللغة الفرنسية إلى جانب العربية (بوعزيز، د ت، الصفحات 60-61).

الملاحـظ أن مـا طبـع الواقـع العـام للجزائـر والمجتمـع الجزائـري خـلال هـذه الفتـرة، هـو تنـوع السياسـات القمعيـة الفرنسـية،التي طالـت مختلـف المجـالات الحيويـة للمجتمـع الجزائري،ومـدى ارتبـاط وصـلة هـذه السياسـات بعضـها بـبعض، فالسياسـة تـأثر على الاقتصـاد الـذي هـو جـوهر تطـور المجتمـع ورقيـه، وهـو بـدوره يـأثر على المنحى الاجتمـاعي والبنـاء السوسـيولوجي للمجتمـع، وحتى البنـاء الثقـافي، وبالتـالي كـان وقـع السياسـة الاسـتعمارية أشـد وطـأة وأعمـق أثـرا على الفـرد والمجتمـع معـا، لزعـزعتهم والحـط مـن قـيمهم ، وتصـوير الجزائـريين في صـورة الخـدم الرعـاع **" لأن الجزائـريين على حـد منطـق الاسـتعمار، لا يحكمـون بموجـب قـوانين إنسـانية ومـا هـم سـوى رعـاع يجـب أن يمتثلـوا لأوامـر أسـيادهم الاسـتغلاليين"** (قبـال، 2018، صفحة 132).

ب- الحركة الإصلاحية بالجزائرونشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

حقيقـة أن الاسـتعمار الفرنسـي جعـل مـن المجتمـع الجزائـري يعـاني مـن التبعيـة لـه في شـتى المجـالات، بـل وحولـه إلـى مجتمـع يفتقـر لسـبل التطـور والتقـدم حقيقـة لا جـدال فيهـا، ذلـك أن الإيـديولوجيا الكولونياليـة قـد عملـت وبعمـق للتـأثير على المجتمـع الجزائـري، والوقـوف في طريـق تطـوره، لكـن رغـم هـذه السياسـة الاسـتعمارية التي لا حـدود لها،أبـان الجزائريـون عـن نـوع مـن التحـرر والانفـلات مـن العتـق الاسـعماري، ويتضـح ذلـك جليـا مـع بـدايات القـرن العشـرين،أين عرفـت الجزائـر حركـة إصـلاحية، عملـت علـى إصـلاح المجتمـع والنهـوض بـه، والعمـل علـى تقريـب الشـقة بـين أفـراده-ونعني هنـا فئتي النخبـة المتفرنسة والمحافظة-.

وبعمليـة الإصـلاح والبنـاء التي شـهدتها الجزائـر خـلال هـذه الفتـرة، وظهـور عـدد مـن المفكـرين قـادوا تيـار الإصـلاح والتنـوير في الجزائـر أمثـال الشـيخ عمـر بـن قـدور، وإبـراهيم أطفـيش و عبـد الحميـد بـن

باديس ومحمد البشير الإبراهيمي (بالولي، 2018، صفحة 204)، سيكون المجتمع الجزائري قد استهل المرحلة الأولى من نهضته التاريخية متلمسا خطاه (حوتية وآخرون، 2016، صفحة 165)، ومدركا تمام الإدراك لمواطن العبث والزيف الاستعماري .

هذه الحركة النهضوية التي عرفتها الجزائر ، كان لها الدور في إيقاظ الهمم وتنوير العقول بحقيقة المستعمر، كما وعملت على إعادة بناء النسيج الاجتماعي بقيمه ومبادئه وأسسه، والتي عبث بها المستعمر الفرنسي من خلال سياساته التعسفية، بل وكان لها كل الفضل في إعادة بناء مجتمع جزائري صالح ومحافظ، هذا المجتمع الذي نظر له الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أحد أبرز رواد الإصلاح في الجزائر، من خلال أفكاره وتصوراته، وعمله على إخراجه من حالة الوهن والاستكانة والتردي والانحراف بأشكاله (حمودي، 2017، صفحة 283).

صحيح أن حركة الإصلاح التي عرفتها الجزائر بدايات القرن الماضي، قد ظهرت في وقت كان فيه الشيخ الإبراهيمي فتيا ،لكن وبفضل حافظته وملكته الفكرية، وتوليه حلقات التدريس وهو في سن الرابع عشرة (الإبراهيمي م.، 2007، صفحة 98)، ما ينم عن نبوغ فكري فتي وتكشف لملامح الإصلاح لديه، وعليه فإن الإبراهيمي وعى حقيقة مجتمعه وظروفه، وحاجته لمن يضيء له طريق الصلاح والفلاح.

وفي إطار الحركة الإصلاحية التي عرفتها الجزائر ،ساهم مصلحوا الجزائر ومفكروها في تدعيم هذه الحركة وتثبيتها، أين تم تأسيس جمعية بتاريخ 5ماي 1931م، عهد إليها إصلاح الأمة الجزائرية سياسيا واجتماعيا وثقافيا، وسميت بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي جاءت تعبيرا عن قناعة العلماء الجزائريين بضرورة إيجاد حياة أفضل للشعب الجزائري في ظل الوضع الاجتماعي والديني المتقهقر، وأيضا كرد فعل على احتفالات فرنسا بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر، والتي اعتبرها علماء الجزائر تعبيرا عن نوايا فرنسا الصليبية للقضاء على الأمة الإسلامية (غانم، 2012-2013، صفحة 63).

والحقيقة أن فكرة تأسيس الجمعية جاء نتيجة للحركة الاصلاحية التي شهدتها الجزائر بداية القرن العشرين، والتي كان الشيخ عبد الحميد بن باديس أحد أقطابها وروادها، هذا الأخير وبمعية الشيخ الإبراهيمي دعى علماء الجزائر للاتحاد والتجمع والاتفاق على إصلاح الأوضاع الدينية والتعليمية والاجتماعية والسياسية للجزائر (مطبقاني، 1984-1985، صفحة 56).

وكان هدفها كما ورد في قانونها الأساسي، محاربة الآفات الاجتماعية، والبطالة والجهل، وكل ما يحرمه الشرع، وعدم الخوض في المسائل السياسية ، إلى جانب العمل على فتح وإقامة النوادي والمكاتب بغية التعليم، وغيرها من الأهداف التي سطرتها الجمعية، والتي تصب في مجملها في صالح الجزائريين (الخطيب، 1985، صفحة 111).

ج-انتشار المرابطية والطرقية:

ارتبط مشروع المجتمع الذي جاء به الشيخ الإبراهيمي بالوضع العام الذي ميز الجزائر، وخاصة في جانبه الثقافي وتحديدا ماتعلق بالمرابطية ولطرقية-الطرق الصوفية-، هذه الأخيرة قائمة على اتجاه فكري يدعوا إلى إخلاص النية لله تعالى ، والعمل على تطهير النفس من الأردان ونشر تعاليمهم، وقد انتشرت الطرقية في الجزائر نتيجة لتجارب الطرق الصوفية المشرقية التي وفدت إلى المغرب (محدادي، 2011-2010).

وفعلا فقد عرفت الجزائر انتشارا واسعا للطرق الصوفية، منها الطريقة التجانية(أحمد بن محمد المختار التيجاني) والطريقة القادرية (نسبة لمؤسسها عبد القادر الجيلاني2189م-2277م)، والطريقة الشاذلية(أبو الحسن الشاذلي التونسي) والرحمانية(مؤسسها محمد بن عبد الرحمن القشتولي1720-1794م) وغيرها كثير (الخطيب، 1985، الصفحات 57-58)،هذه الطرق ورغم ما تدعوا إليه من تطهير للأنفس وإصلاحها، إلا أنها كانت أداة فعالة في يد الإدارة الإستعمارية، التي استغلتها للتأثير على الجزائريين، من خلال استغلال عواطفهم الدينية، وجعلهم ينقادون وراء الخرافات والبدع التي تنشرها الطرقية،وبات تأثير هذه الأخيرة أكثر من تأثير المدرسين والأئمة بل وحلت مكانهم"**ولمشائخ الطرق الصوفية والمرابطين نفوذ عظيم وأن العلماء والمدرسين و أئمة المسجد لا يكادون يكونون شيئا بالقياس إلى المرابطين ومشيخة الطرق**" (حوتية وآخرون، 2016، صفحة 159)،وسنكتفي بهذا القدر لأننا سنأتي على توضيح هذا الجانب أكثر في فصول لاحقة.

د-المحاولات الإستشراقية والتغريبية:

مما لاشك فيه أن للمستشرقين الغربيين دور بارز في بناء وتبلور فكرة مشروع المجتمع لدى محمد البشير الإبراهيمي، وإلى تلك المحاولات التغريبية التي من شأنها هدم النسيج المجتمعي بالجزائر ،

والنيل من وحدته، وبناء مجتمع كولونيالي غربي، فقد حرص المستشرقون وخاصة الفرنسيين منهم على دراسة كل ماله صلة بالمجتمع الجزائري، من عادات وتقاليد وقيم ومبادئ وغيرها، فلا غرابة أن نجد المستشرقين مهتمين بالشعب المستعمر دينا ولغة وآثارا وتاريخا، وذلك بحسب حاجة الإدارة الاستعمارية الفرنسية، وإعطاء المشروع الاستعماري الشرعية (حليمي، 2013-2014، صفحة 45).

فقد ركز المستشرقون من خلال دراساتهم على التراث العربي الإسلامي، وخاصة ماتعلق بالدين واللغة العربية،وقد كانت الجزائر مسرحا لنشاطات المستشرقين، قبل القرن العشرين وبعده، أين وجهت جهود المستشرقين لخدمة المشروع الاستعماري الفرنسي، وكانت عنايتهم باللغة العربية ودراستها لأنها وسيلة للاتصال مع الأهالي وأداة للتوغل السياسي، ولأن الجزائر كانت قبلة المستشرقين ومن بين اهتماماتهم، فقد احتضنت سنة 1905م انعقاد المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين العالميين (سعد الله، 1996، الصفحات 39-40).

2-الظروف الخارجية:

لقد كان للظروف الخارجية دور في تبلور فكرة المجتمع لدى الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وتمثلت هذه الظروف خصوصا فيما يلي:

أ-الحركة الإصلاحية في المشرق والجامعة الإسلامية:

لا يخفى على أحد ذلك الوضع الذي ميز العالم العربي الإسلامي وخاصة المشرق منه، جراء الاستعمار الأجنبي الذي نشر أسقامه في المنطقة ، وظل ينهش جسمه العليل، وصار يتخبط في دوامة الوهم والعجز والتقهقر، غير أن الأمر لم يبق على حاله إذ كان لرجال الفكر والعلم أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده(ت1905م) كلمتهم في هذا الشأن ، والذين لم يدخروا جهدا للنهوض بأمتهم وبعثها من جديد (قياس، د ت، صفحة 22).

وقد انتقلت هذه الحركة التنويرية إلى المغرب بفضل جهود مصلحيها ومفكريها ، خاصة محمد عبده الذي كان ساهم في نشر النزعة الإصلاحية بالجزائر، والكشف عن بعدها الروحي والديني سيما خلال زيارته إلى الجزائر سنة 1903، التي ساهمت في التقريب بين المغرب والمشرق ككيان واحد،

وكونها أيضا فرصة جديدة لتلافي تلك القطيعة التي بين الجزائر وبقية العالم العربي (مراد، 2007، صفحة 36).

ب-الصحافة والرحلات المشرقية:

تحت ستار الهيمنة الفكرية الثقافية، أرادت فرنسا أن تجعل المجتمع الجزائري فارغا من ملامح التطور الفكري، وهو ما من شأنه أن يخدم سياستها الاستعمارية التثقيفية في الجزائر ،والحق أن الجزائريين وعلى الرغم من التضييق الفرنسي الممارس عليهم، إلا أنهم أبانوا عن قدرة في التعامل مع مثل هذه السياسة، ويتضح ذلك في اطلاعهم على الفكر الإصلاحي في العالم العربي،وعلى الصحف والمجلات المشرقية منها "العروة الوثقى" لجمال الدين الأفغاني والتي كانت ترسل إلى سائر الأقطار الإسلامية (الأخضر، 1980، صفحة 93).

يضاف إلى هذا تلك الرحلات التي قام بها الجزائريون نحو البلاد المشرقية ، سواء من أجل الحج أو طلبا للعلم، أين كان جموع الطلبة الجزائريين على احتكاك برجال الفكر والسياسة في المشرق، وكذلك كونهم يرتادون الجامعات الاسلامية ومختلف دور ومراكز العلم ، فإنهم على دراية بتطورات ونتائج النهضة العربية الحديثة في المشرق العربي، وكان هؤلاء بمثابة تهديد للسلطات الفرنسية في الجزائر (هلال، 2007، صفحة 184) ، في حال عودتهم إلى وطنهم محملين بتلك الأفكار التنويرية، وهو ما ينطبق على مفكرنا الشيخ محمد البشير ا إبراهيمي الذي عرف برحلاته للمشرق العربي، واحتكاكه بالشباب المتنور هناك (الإبراهيمي م.، في قلب المعركة، 2007)، وحتى ماقدمه من دروس ومحاضرات ساهمت في تحقيق التقارب بينه وبين مفكري المشرق وطلبتها.

ومهما كان من أمر فإن هذه الظروف التي ميزت المحيط العام للجزائر وخارجها، قد ساهمت في تبلور وبناء مشروع مجتمعاتي لدى الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، هذا المشروع الذي جاء مواكبا ومسايرا لها.

المبحث الثاني: أهداف مشروع المجتمع في فكر البشير الإبراهيمي.

التعمق في دراسة فكر البشير الإبراهيمي وماتعلق منه بفكرة مجتمعية المشروع الذي طرحه من خلال تصوراته وتجاربه التي خاضها طيلة مسيرته الحياتية، يقودنا لاشك إلى الوقوف عند أهداف وغايات هذا المشروع، وقد حاولنا في هذا البحث أن نوجز هذه الأهداف في النقاط التالية:

1-التأكيد على الثوابت الوطنية وترسيخها في المجتمع:

بالعودة إلى الاستعمار الفرنسي و ظروف المجتمع الجزائري في ظل السياسة الفرنسية التعسفية، ندرك تمام الإدراك أن الاستعمار الفرنسي يرمي إلى تجريد الجزائريين من مقوماتهم الوطنية واستبدال المجتمع الجزائري بمجتمع فرنسي، من خلال زرع الثقافة الفرنسية ومقوماتها بدل الثقافة العربية الإسلامية ، بل وقطع جذور هذه الأخيرة نهائيا ،يقول رابح تركي: **"محاولة صبغ البلاد بصبغة فرنسية خالصة من كل صغيرة وكبيرة،حتى تتقطع جميع الروابط التي تربط الجزائر ماضيا و حاضرا و مستقبلا بثقافتها ولغتها القومية،وتاريخها الإسلامي ،فانتمائها الحضاري إلى الأمة العربية،حتى تنشأ الأجيال الجزائرية الصاعدة في ظل هذه السياسة المرسومة نشأة ممسوخة في كل شيء أو مقطوعة من جذورها الأصلية"** (تركي، 1975، صفحة 105).

وبناءا على هذا جاء المشروع المجتمعي لمحمد البشير الإبراهيمي إدراكا منه بأهمية ومكانة الثوابت الوطنية في البناء الاجتماعي، وضرورة ترسيخها في المجتمع الجزائري والتمسك والحفاظ عليها، ولما كانت هذه الثوابت التي هي : الدين واللغة والتاريخ والوطن هي التي على أساسها يقاس انتماء ومشروعية وجوده، فقد كانت هدفا ومبدأ راسخا لدى الإبراهيمي وجب تكريسه لبناء المجتمع الجزائري.

فكانت الغاية من مشروع الإبراهيمي هو العناية بالدين الإسلامي ، وغرس قيمه ومبادئه في المجتمع الجزائري من خلال الدعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم و السنة النبوية، الذي نوه بأهمية القرآن الكريم و حتمية الأخذ به وجعله ركيزة أساسية في تربية النشء ، وضرورة تمسك الأمة به والعودة إليه خاصة في ظل الوضع الذي يشهده المجتمع وابتعاده عن تعاليم القرآن –طبعا جراء السياسة الفرنسية السافرة_ فالقرآن الكريم حسبه هو كتاب الإسلام يتضمن الأحكام و الحكم و الحجة (خلادي، 2018-2019، الصفحات 69-70).

ويقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي متحدثا عن القرآن الكريم كسبيل للدعوة وإصلاح المجتمع : **"والقرآن هو الدستور السماوي الذي لا نقص فيه ولا خلل...فإذا كانت الأمة شاعرة بسوء حالها، جادة في إصلاحها، فما عليها إلا أن تعود إلى كتاب ربها فتحكمه في نفسها، وتحكم به ، وتسير على ضوئه تعمل بمبادئه وأحكامه، والله يؤديها ويأخذ بناصرها وهو على كل شيء قدير"** (لدرع، د ت، صفحة 257).

وفي هذا تأكيد على عمق التأثير القرآني على المجتمع والأمة، لما ينطوي عليه من مبادئ وتعاليم من شأنها تقييم اعوجاجهما وتصحيح مسارهما ، خاصة وأن المجتمع الجزائري ما انفك يعاني من ويلات المستعمر وسطوته وسيطرته اللامحدودة، والتي تستهدف الدين وتعمل على اجتثاثه من جذوره.

على غرار الدين الإسلامي الذي يعد أحد مقومات المجتمع الجزائري، والذي لابد من ترسيخه والتأكيد عليه لدى الجزائريين، وضرورة الأخذ به قولا وفعلا،مثلت اللغة إحدى مقومات الهوية كما وربطتها علاقة وشيجة بالدين، والتي عملت إدارة الاحتلال الفرنسي على وأدها وإدماجها في الثقافة الفرنسية لابعاد المجتمع الجزائري عن هويته وأصالته (رزيق، 2023، صفحة 693)، إلى جانب مكانتها في البناء المجتمعاتي، والتي لابد من ترسيخها هي الأخرى لدى المجتمع الجزائري، كونها تمثل لبنة من لبناته وإحدى مقوماته، يقول عنها الإبراهيمي (1997، صفحة 134) :**"إن اللغة هي المقوم الأكبر من مقومات الاجتماع البشري ،وما من أمة أضاعت لغتها إلا و أضاعت وجودها ،واستتبع ضياع اللغة ضياع المقومات الأخرى"** .

هذا وكانت اللغة هي المعبرة عن تكوين المجتمع فكريا ونفسيا، يقول الرافعي: **" أما اللغة فهي صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها، وجودا متميزاً قائما بخصائصه"** (حارش، 2013، صفحة 147)،لذلك هدف الإبراهيمي من خلال مشروعه إلى تثبيتها وغرسها في المجتمع الجزائري،كونها الوحيدة المخول لها إلى جانب الدين طبعا الحفاظ على ثقافة الجزائريين وانتمائهم العربي الإسلامي في ظل المسخ الفرنسي الذي طال الثقافة العربية الإسلامية.

إلى جانب الدين واللغة كعنصران أساسيان ومتلازمان من عناصر الثوابت والقيم الوطنية الواجب تعزيزها في المجتمع وفي أوساط أفراده، مثل التاريخ هو الآخر أحد المقومات الوطنية والهوية الجماعية، فهو وعي الأمة وشعورها وذاكرتها التاريخية الجماعية (بودلاعة، 2023، صفحة 230)، والجامع

لتجارب وحوادث الماضي ، للوقوف عليها لمعايشة الحاضر واستشراف المستقبل، هذا الأخير الذي سيكون نتاج ثمرة من التغيير التي سيشهدها المجتمع الجزائري من خلال تمسكه بتاريخه، وغرس أهميته في حماية الهوية الوطنية من التضليل الثقافي الفرنسي .

ونظرا لأهمية التاريخ في الحركة الإصلاحية التي عرفتها الجزائر،فقد دأب مفكروها على دراسة التاريخ والتنظير له ، كما هو الحال بالنسبة لمبارك الميلي ،فحسبه أن أبناء الأمة عندما يدرسون التاريخ ويقفون على أدواره ،فإنه لا يمكن لأي عدوان أو توسع أن يمتص قوميتهم، وأن إدراكهم لروعة ماضيهم و مجد أسلافهم يدفعهم لمقاومة بخس وقدح المستعمر،و يدركون بالتالي معنى سيادتهم في التصدي لسيطرة الطغاة و إذلالهم،و سيعرف الدارسون للتاريخ من أبناء الأمة لاشك وطنيتهم وواقعهم وأن لا مجال لابتلاع قوميتهم (ميسوم، 2007، صفحة 150).

وإيلاءً للمكانة التي يحتلها التاريخ في المجتمع كونه عنصر هام في بنائه ونهضته، نجد أن الإبراهيمي لم يستثني هذا الأخير من مشروعه حول المجتمع، هذا الأخير الذي هدف من خلاله إلى إبراز قيمة الذاكرة الجماعية في التقارب المعنوي بين أفراد المجتمع ، وتأصيل التاريخ في قلوبهم وأفكارهم على أنه جزء لا يتجزأ من هويتهم وقيمهم، والتصدي للتغريب الفرنسي الذي طاله يقول الإبراهيمي:**"ويسوؤنا بعد ذلك كله أن نبني تاريخ نهضة الجزائر بغير أحجاره... إن القوم يحتقرون حاضرنا الذي أوصلونا إليه،ويعتقدون أننا صبيان،فيتذكرون ماضيهم ليبنوا عليه حاضرهم و مستقبلهم،وينكرون علينا ذلك....ألا إنهم يذكرون أبنائهم بماضيهم ويلقنونهم سير أجدادهم و أعمالهم،وإنهم يذكرون أبنائنا المتأثرين بعلومهم وصناعاتهم بذلك،ويأتون بما يملأ عقولهم و نفوسهم حتى لا يبقى فيها متسع لذكريات ماضينا وأسلافنا....."** (ترشاق، 2020، صفحة 351).

لم يقتصر هدف المشروع الإبراهيمي المجتمعي على غرس وتكريس اللغة والدين والتاريخ لدى الجزائريين كونها مقومات وثوابت وطنية راسخة في المجتمع الجزائري فحسب، بل كان القصد والهدف منه أيضا هو تعزيز الشعور الوطني لدى الجزائريين، فالوطنية قبل أن تكون واحدة من مقومات الهوية هي شعور طبيعي بدافع حب الأرض والتعصب لها والذود عنها والتضحية في سبيلها (حوتية وآخرون، 2016، صفحة 246)، هذا الشعور الذي أراد البشير الإبراهيمي الحفاظ عليه من خلال خلق مجتمع جزائري يعتز بوطنه ورافض لفكرة الجزائر فرنسية .

2-الإصلاح العقائدي والديني:

ليس من الغريب أن يقترن مشروع المجتمع الذي جاء به البشير الإبراهيمي بفكرة الإصلاح العقائدي والديني، فالمتقصي لحقيقة البناء الاجتماعي وحتى لكيفية ظهور فكرة الاجتماع يجد أن هذه الأخيرة مرتبطة بالدين، كعامل جوهري وأساسي في ذلك، فمتى ما كان الدين واحدا في منطقة ما كلما تحققت فرص الاجتماع أكثر، ذلك أن الدين باعث على التقارب والاتحاد، وهو ما ينطبق على دين الإسلام .

وحقيقة أن المشروع الإبراهيمي يهدف إلى تحقيق نوع من التغيير والتجديد العقائدي والديني في المجتمع الجزائري، مرده هو ذلك العبث الفرنسي الذي طال الديانة الإسلامية وقيمها ومبائدها، الأمر الذي جعل الجزائريين يحيدون عن جادة الصواب والطريق الصحيح الذي رسمه الإسلام، وأن إصلاح العقيدة لن يكون إلا بالعودة إلا المنابع الصافية للإسلام ونعني هنا القرآن الكريم والسنة النبوية **(هرنون، 2018، صفحة 8)**.

فإصلاح العقيدة الإسلامية من شأنه أن يخلص المجتمع من البدع والخرافات والاعتقادات الخاطئة التي روجت لها الإدارة الفرنسية في أوساط الجزائريين،وإعادة فاعليتها الاجتماعية لتمكينهم من التخلص من واقعهم البائس، هذا الإصلاح العقائدي الذي هو امتداد لمنهج نبوي في إقرار العقيدة وتثبيتها في النفوس، وتحرير هذه الأخيرة من ظلمات الشرك (زرمان، د ت، صفحة 64)، يقول تعالى:﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾ (النحل، 36)، وهو المنهج الذي سار عليه المصلحون في تصحيح العقيدة خاصة علماء جمعية العلماء المسلمين، وعلى رأسهم عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي.

يضاف إلى هذا ، أن هدف الإبراهيمي من مشروعه الرامي لتصحيح العقيدة وتطهير الدين من البدع ، قد جاء للتصدي للطرقية وتأثيرها السلبي على الأفكار والممارسات، والتي حملت معتقدات خاطئة تشوه صورة الدين الإسلامي، كعقيدة التواكل والتيمن بالأضرحة. (صالحي، 2017، صفحة 133)، كذلك جاء لتكريس الفضائل ومكارم الأخلاق، فالفرد الذي يهتدي بالقرآن وبما يدعوا إليه، هو أكمل الناس وأقومهم وأهداهم، وأن انحلال العقائد في انحلال الأخلاق (القاضي، 2021، صفحة 47).

3-بناء مجتمع متماسك أخلاقيا واجتماعيا:

لعل من أهم الغايات التي سطرها ورسمها مشروع المجتمع لدى الشيخ البشير الإبراهيمي، هي بناء مجتمع متماسك وقوي أخلاقيا واجتماعيا، ذلك أن المجتمع الجزائري ونتيجة للعبث الاستعماري تحول إلى مجتمع لن نقول عنه منحل ، كونه لازال خلال تلكم الفترة رغم ممارسات المستعمر محتفظ بمبادئه وأخلاقه، لكن أضحى يفتقر إلى الاعتدال الأخلاقي نتيجة اختلال التوازن الاجتماعي وتفكك الروابط الاجتماعية ، يقول الإبراهيمي (1997، صفحة 133):" **...واختلت الأحكام فانتهكت الحرمات واستبيحت المحرمات وتفككت روابط الأسرة الإسلامية، وقطعت الأرحام وتعادى المسلمون وتباغضوا وتنكر الأخ لأخيه، وضعف الوازع الديني الذي يهيئ النفوس للانطباع بطابع واحد...**"، ويضيف متحدثا عن الأخلاق: "**...واختلت الأخلاق وفي اختلالها البلاء المبين...وأن الأمم لا تقوم ولا تحفظ وجودها إلا برسوخ الأخلاق الفاضلة في نفوس أفرادها**".

فالأخلاق عنصر هام في البناء الاجتماعي، وعلى أساسها يقاس صلاح المجتمع، وقد ركز الإبراهيمي على هذه الهدف في مشروعه، إيمانا منه بأن المجتمع الجزائري الذي وجد في ظل الاستعمار الفرنسي، والذي طبع في جانب منه بعقلية كولونيالية، مجتمع لا يرقى لمستوى تفكيره القائم على التربية الخلقية، خاصة وأنه ولد ونشأة في كنف أسرة محافظة تعتد بالقيم الدينية والأخلاقية، ولذلك أراد لمشروعه المجتمعي أن يكون حاملا لغاية وهدف أخلاقي سامي قائم على التربية الوجدانية والتقويم السلوكي للأفراد بعيدا عن التشويه الاستعماري الأخلاقي.

وفي ذات السياق وإلى جانب خلق مجتمع متماسك أخلاقيا، كذلك هدف إلى بناء مجتمع متماسك صالح وخلق نظام اجتماعي متين، قوامه التواصل الاجتماعي المبني على التفاهم وتبادل القيم الاجتماعية، ونبذ الخلافات والنعرات التي يبثها المستعمر في المجتمع والرامية لتقسيم هذا الأخير من خلال خلق مجتمع مفرنس.

4-خلق مجتمع يعنى بالتربية والتعليم والنهضة:

لاشك أن عملية الاستلاب الثقافي التي مارسها المستعمر الفرنسي على الجزائريين ، كان لها عظيم الأثر على المجتمع الجزائري، هذا الأخير ونتيجة لسياسة المثاقفة الفرنسية قد حرم من منابع الثقافة العربية الإسلامية الحقة، والمتمثلة أساسا في التعليم العربي.

غير أن الإبراهيمي وبفضل نشاطه وجهوده الإصلاحية، سعى جاهدا إلى إعادة مكانة التعليم العربي لما كانت عليه، وحرص على ذلك كون التعليم أساس ازدهار وتطور المجتمع ونهضته، وهو الهدف الذي رسمه من خلال مشروع المجتمع الذي جاء به، هذا ولم ينفك يقارع الإدارة الاستعمارية رفقة رفاقه من جمعية العلماء المسلمين، لفتح المجال أمام تعليم اللغة العربية وإعطائها مكانتها مثلها مثل تعليم اللغة الفرنسية" **فجمعية العلماء التي تعد أشرف أعمالها تعليم العربية ، قد أقانت خمسة عشر عاما تطالب في غير ملل بحرية التعليم العربي.... ، وما زالت تصرع العوارض الحائلة لخنق العربية وقتلها**" (تومي، 2020، صفحة 180).

ولما كان التعليم أساس البناء التربوي والاجتماعي ، فقد حرص الإبراهيمي على أن يكون المجتمع الجزائري متعلما وأكثر عناية بالتعليم العربي خصوصا، ويصور لنا الشيخ محمد البشير الإبراهيمي حركة التعليم العربي الحر التي نهضت بها جمعية العلماء و معاكسة الإدارية فيقول:"**إن مدارسنا-مدارس جمعية العلماء-عامرة بهذا الصنف من الأطفال وهو هذا الصنف المتشرد الضائع،الذي لم يجد إلى التعليم الحكومي سبيلا.....ومادامو محرومين من التعليم الفرنسي فمن حقنا ومن واجبنا ومن الإحسان إلى أبنائنا أن نشغلهم النهار كله بتعلم دينهم ولغتهم....أما الحكومة فإنها ترى أن بقاء أبنائنا في الأزقة معرضين للشر و الفساد،خير من تعليمنا إياهم تعليما عربيا إسلاميا ،فلما صممنا أداء الواجب علينا لديننا وأمتنا ،صممت على المضايقة و التضييق**" (عمامرة، 2001، صفحة 375).

ومهما كان من أمر فإن مشروع الشيخ الإبراهيمي، قد عني وبشكل كبير بمسألة التعليم ، بل وجعل من أسمى أهدافه بناء مجتمع متعلم قادر على مواكبة النهضة والتطور، وتجاوز تلك الفروقات الثقافية التي صنعاها الاستعمار.

فأهداف المشروع المجتمعي الإبراهيمي لا تنحصر فقط في الأهداف التي ذكرناها، وإنما هناك العديد من الغايات التي تنضوي تحت هذا المشروع، والتي لايكفي الحديث عنها في هذا المقام، بحكم

أن البحث في مشروع المجتمع لدى الابراهيمي، بحث واسع وسع فكره ، وما قدمناه من أهداف في مجملها قد لامست هذا المشروع من جوانب عدة.

المبحث الثالث: أبعاد المشروع المجتمعي في فكر البشير الإبراهيمي.

إن القراءة المتأنية لتوجهات وغايات المشروع الإبراهيمي حول المجتمع، تحيلنا إلى العديد من الأبعاد التي يرمي إليها الإبراهيمي ، والمتمثلة فيما يلي:

1-البعد السياسي:

عندما نتصفح كتابات المؤرخين والباحثين بشأن الوضع السياسي للمجتمع الجزائري خلال القرن الماضي، نجد أن هذا الأخير كان بعيدا نوعا ما عن الحياة السياسية ، ومرد ذلك السياسة الفرنسية القائمة على تهميش الجزائريين ، وعدم مشاركتهم في السياسة خشية أن يدركوا مرامي وأهداف الإدارة الاستعمارية، لكن بالمقابل وبفضل جهود الحركة الوطنية في مرحلة لاحقة خاصة فترة مابين الحربين العالميتين، تمكنوا من الخوض في السياسة من باب المقاومة السلمية ، أين تمكنت هيئة النواب المنتخبين المسلمين الجزائريين سنة 1934م في الانتخابات البلدية والعمالية (بوعزيز، د ت، الصفحات 95-96)، والتمثيل البرلماني وغيرها من المطالب التي عبرت عنها مختلف التشكيلات السياسية في تلكم الفترة.

ولنا أن نتساءل هنا عن علاقة السياسة بمشروع المجتمع لدى الشيخ الإبراهيمي؟ صحيح أن هذا الأخير –أي الإبراهيمي- لم يكن مهتما بالسياسة ولم يخض فيها، بقدر ما كان مهتما بالجانب الفكري والإصلاحي، خاصة وأن جمعية العلماء المسلمين في تلكم الفترة كانت معارضة لأي عمل سياسي ، فهي جمعية دينية ثقافية وليست حزبا سياسيا، ورجالها لا يترشحون في الانتخابات.

غير أن اقتران السياسة الإدارية الفرنسية بالجانب الثقافي والديني، خاصة في مسألة التدخل في القضاء وربط الدين بالدولة، دفع بالإبراهيمي إلى تنظيم أفكاره وصياغتها في نسق فكري يجعل من مسألة إصلاح المجتمع والدفاع عن مقوماته مرتبط بالجانب السياسي، من خلال التصدي لكل أشكال السياسة الفرنسية ، ومثال ذلك ما كتبه من مقالات (حوالي 38 مقال) يطالب فيها الإدارة الفرنسية بعدم التدخل في الشؤون الإسلامية وترك ذلك لأهله المسلمين (بوسعيد، 2021، صفحة 197).

فالمشروع الإبراهيمي المجتمعي في بعده السياسي يرمي إلى القضاء على التبعية السياسية الثقافية، لذلك كانت أفكار البشير الإبراهيمي تصب في رأي واحد وهو فصل السياسة عن الدين، وترك كامل الحرية للمجتمع الجزائري للعناية بأموره الدينية والدنيوية في إطار الشريعة الإسلامية بعيدا عن العبث الفرنسي، الذي يهدف إلى تجريد الجزائر من دينها، وما يؤكد ذلك ما أورده بشأن قضية فصل الدين عن الدولة بقوله:"**...لأن الدين في الجزائر الإسلام...بقيت قضية فصل الإسلام عن حكومة الجزائر، منظورة بالعين الاستعمارية، وموزونة بالميزان الصليبي، ومفهومة بالعقل المتحجر، "تجمهرت" فرنسا أو "تدكترت"....فالاستعمار في الجزائر هو هو في نظرتها، والإسلام في الجزائر هو في حكمها واعتقادها....فتصدر القوانين بالفصل...**" (الإبراهيمي م.، 1997، صفحة 165).

وفي ذات الإطار،فإن مشروع المجتمع لدى الإبراهيمي قد لامس قضية أخرى ذات بعد سياسي وثقافي واجتماعي، وهي قضية التجنيس والإدماج وما يهنا هنا هو البعد السياسي لهذه المسألة في مشروع المجتمع، المعروف أن تجنيس الجزائريين كان بهدف تجريدهم من مقوماتهم الشخصية وجعلهم مواطنين فرنسيين يتمتعون بالجنسية الفرنسية، وهو تنازل واضح للجزائريين عن القانون الشخصي، وانسلاخ عن المجتمع (سباعي وبرشان، 2018، صفحة 148).

ونفس الأمر ينطبق على قضية الإدماج التي كان القصد منها إدماج الجزائريين طبعا المتجنسين منهم الذين ينظر إليهم كأقلية ملعونة في الأمة الفرنسية (حليمي، 2013-2014، صفحة 204) ، بل والقضاء تماما على الجزائر كوطن وأمة، وهذا يعني أيضا زوال المجتمع الجزائري الذي هو أساسها وركيزتها.

وبالتالي جاء مشرع الابراهيمي المجتمعي ليبين لنا تلك الخروقات الفرنسية السياسية بشأن المجتمع الجزائري من جهة، وإيضاح مدى ارتباط السياسة بالمجتمع فهي التي من شأنها أن تجعل منه إما مجتمعا صالحا أو طالحا من جهة أخرى من خلال العبث بمبادئه ومقوماته.

2-البعد الثقافي الديني:

سبق وأن أشرنا في معرض حديثنا عن أهداف مشروع المجتمع للإبراهيمي، إلى كونه جاء لتكريس وتثبيت المقومات الوطنية من لغة ودين وتاريخ مشترك والوطنية ، كما أنه جاء لتربية المجتمع وغرس القيم الأخلاقية فيه وإصلاح العقيدة الإسلامية وغيرها من الأهداف.

والمشروع الابراهيمي بشأن المجتمع في بعده الثقافي الديني ، هو مشروع فكري ثقافي يعنى بتثقيف المجتمع من خلال العناية بالدين والعلم وتحصيلهما لدى أفراد المجتمع، ومحاربة كل أشكال التهويد الثقافي الاستعماري، والعمل على تأصيل الهوية العربية للشعب الجزائري والتأكيد على انتماءاته، واعتبار اللغة العربية هي وعاء العقيدة الإسلامية والفكر الإسلامي (ذوادي، د ت، صفحة 48)، فكان هذا المشروع أكثر تركيزا على اللغة العربية ثقافة وفكرا.

كما غلب على مشروع المجتمع الإبراهيمي الجانب الديني العقائدي، والتركيز على إصلاح العقيدة الإسلامية والعناية بالدين، فالمجتمع يحتاج إلى تمعن ونظرة فاحصة في قضاياه خاصة الدينية ن وعلاجها من منظور ديني فقهي، فالإبراهيمي يرى ضرورة معايشة الواقع وتدارس مشكلاته وعلاجها في ضوء الشريعة الإسلامية ومقاصدها وقواعدها (فلوسي، 2002، صفحة 50).

وما يؤكد لنا أيضا البعد الثقافي لهذا المشروع، اهتمامه وعنايته بمسألة التربية والتعليم، كون التعليم لبنة أساسية لبناء المجتمعات وتطورها وازدهارها،وسنفصل في ذلك أكثر في الفصول الموالية من البحث.

3-البعد الاقتصادي والاجتماعي:

لا ننكر تلك الرابطة الوثيقة بين مشروع المجتمع الذي جاء به البشير الإبراهيمي، والجانب الاقتصادي والاجتماعي كأحد أبعاده، فالسيرورة الزمنية التاريخية وتوالي الأحداث وتزامن الظروف التي مر بها مجتمع جزائر القرن العشرين، يجعلنا ندرك حقيقة أن المشروع الإبراهيمي بخصوص المجتمع له بعد اقتصادي واجتماعي، فهو قد جاء لكسر الجمود الاقتصادي والاجتماعي الذي ميز واقع المجتمع الجزائري آنذلك.

هذا الجمود الذي مرده السياسة الاقتصادية والاجتماعية الفرنسية، التي عملت على خلق مجتمع تابع للمستعمر اقتصاديا واجتماعيا، بدليل أن المجتمع الجزائري خلال عشرية القرن الماضي إلى ثلاثينياته كان يعاني البطالة والفقر نتيجة الأزمة الاقتصادية التي عصفت باقتصاد الجزائر منذ الحرب العالمية الأولى، وتدني الدخل السنوي للجزائريين مقارنة بالأوروبيين (سعد الله ج10، 2007، الصفحات 12-13).

كذلك حاول الإبراهيمي من خلال مشروعه، بناء صورة جديدة للمجتمع الجزائري على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي، من خلال معالجة قضايا المجتمع الاقتصادية ماتعلق بالأمور المالية، منها إلى التطرق للمشاكل الاجتماعية وتشخيصها ووصف العلاج لها، والعناية بالشباب الجزائري والحث على التربية ومكارم الأخلاق، كما سنأتي على تفصيله لاحقا.

وعليه فإن أبعاد مشروع المجتمع في فكر محمد البشير الإبراهيمي، ترتكز على البعد السياسي لاستجلاء حقيقة السياسة وارتباطها بتكون المجتمع، وعلى البعد الثقافي الديني باعتبار العملية التثقيفية والعناية الدينية بالمجتمع هي الحجر الأساس في تكوينه، فضلا عن البعد الاقتصادي والاجتماعي باعتبارها أساسيان في اكتمال تشكل المجتمع الذي صوره الإبراهيمي من خلال أفكاره.

من خلال ما أسلفنا بسطه، نرى أن مشروع المجتمع الإبراهيمي قد تبلور في ظل جملة من الظروف الداخلية والخارجية ، أين تميز الواقع العام للجزائر بداية القرن العشرين باعتلال واختلال في الظروف سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية والثقافية جراء السياسة الاستعمارية التعسفية، بالمقابل شهد حركية إصلاحية تنويرية قادها ثلة من المفكرين والمصلحين للنهوض بواقع المجتمع الجزائري وتحقيق نهضته.

ناهيك عن الظرف الخارجي الذي ساعد بشكل كبير في نمو فكرة المجتمع لدى الإبراهيمي بفضل حركة النهضة العربية التي عرفها المشرق العربي، إلى جانب الحركية الإعلامية التي ميزها انتشار واسع للصحف العربية المشرقية الحاملة للأفكار التنويرية، فضلا عن الرحلات التي ميزت الفترة والتي قام بها الكثير من المفكرين وطلبة العلم لنحو المشرق، والتي ساهمت جلها في بناء الفكرة المجتمعية لدى الإبراهيمي.

وكأي مشروع له أهداف وغايات، فقد تعددت وتنوعت أهداف مشروع المجتمع لدى الإبراهيمي، بين تكريس وتثبيت المقومات الشخصية لدى الجزائريين(الدين، اللغة، التاريخ المشترك، الوطنية) باعتبارها أساس تكون المجتمع وبناء الأمة الجزائرية، والعمل على الإصلاح الديني والعقائدي وذلك في ظل البدع والخرافات التي نشرتها الطرقية ومحاولات فرنسا لوعوعة مكانة الإسلام في نفوس الجزائريين، منه إلى العمل على تكريس التربية العلمية والأخلاقية في المجتمع من خلال العناية بالتعليم العربي والقيم لأخلاقية والأدبية وتعزيزها لدى الفرد والمجتمع وغيرها من الأهداف الأخرى.

لقد أبان المشروع المجتمعي الإبراهيمي عن عدة أبعاد ، سياسية وثقافية واقتصادية اجتماعية، أوضحت مقاصدية السياسية من المجتمع، على ضوء ما جسدته لنا السياسة الاستعمارية التي ربطت الجانب السياسي منها بالمجتمع الجزائري، كما أكد على البعد الثقافي والديني لمشروعه كضرورة لابد منها لاكتمال بناء المجتمع، إلى جانب البعد الاقتصادي والاجتماعي كعنصران مكملان وضروريان لتحقيق المعادلة الاجتماعية التي على ضوئها سيتحقق مشروع المجتمع.

الفصل الثالث:

عناصر المشروع المجتمعي لمحمد البشير الإبراهيمي و أبرز محاوره

المبحث الأول:أولويات مشروع المجتمع لدى البشير الإبراهيمي.

المبحث الثاني: عناصر البناء المجتمعي لدى البشير الإبراهيمي.

المبحث الثالث: محاور وركائز المشروع المجتمعي لدى البشير الإبراهيمي..

إن الخصوصية التي خص بها المجتمع الجزائري خلال القرن العشرين، والظروف التي ميزت واقعه هي التي دفعت محمد البشير الإبراهيمي إلى إعداد مشروع مجتمعي قائم على عناصر هي بمثابة أساس البناء السوسيولوجي للمجتمع، إلى جانب محاور هي ركائز ودعائم لاكتمال هذا البناء كماصورته وصاغته أفكاره.

وما نسعى لإيضاحه في هذا الفصل هو كيفية بناء وتشكل مشروع المجتمع لدى الشيخ الإبراهيمي، مع تحليل للمحاور الأساسية التي قام عليها هذا المشروع، ولنا أن نتساءل هنا إذا كان مشروع المجتمع حسبه مجرد فكرة لا تتعدى البحث في الجانب السوسيولوجي لها فحسب؟ أم هناك عدة جوانب ومحاور عميقة لهذا المشروع؟.

المبحث الأول: أولويات مشروع المجتمع لدي البشير الإبراهيمي.

لقد ساهم الفكر الإبراهيمي لاشك في بناء وصياغة مشروع المجتمع، هذا الفكر الغزير والمتميز بفضل تجارب محمد البشير الإبراهيمي مشرقا ومغربا، فكان مشروعه نتاج تمحيص للأسباب والعوامل التي جعلت المجتمع الجزائري على ما هو عليه من حالة التقهقر والإنكفاء على الذات، هذا وكان أيضا خطوة لتجاوز هذه العوامل وإيجاد الحلول والسبل لبناء مجتمع جزائري جديد كما خط له الإبراهيمي.

وبالتالي فإن من أولويات هذا المشروع البحث عن المشاكل والعلل (أسباب الداء) ومن ثم إيجاد الحلول لها (الدواء)، كخطوة أولى نحو إقامة بناء مجتمعي متطور وفقا للفكر الإبراهيمي.

1-البحث عن العلل و إقرار مواطن الداء في المجتمع:

إن أول خطوة نحو بناء مشروع المجتمع كما جاء به البشير الإبراهيمي، هو البحث عن العلل والمشكلات ومسبباتها والإقرار بها،فمن الأهمية بمكان البحث عن العلة التي تنخر المجتمع والمسببة لشتى أمراض التقهقر والانحطاط الاجتماعي قبل بناء مجتمع جديد، كما أن الإقرار بالداء وسوء الحال الذي يتخبط فيهما المجتمع من أولويات إيجاد الحلول، فمتى كان تشخيص الداء في المجتمع تشخيص ناجح كان وصف الدواء أنجع وأضمن لنجاح التشافي الاجتماعي، وقد وصف الإبراهيمي من لا يعلم ولا يحس بحال مجتمعه وعلته كمن يغط في سبات بل وأقرب لأهل الكهف في نومتهم ، إذ: **"...تغافل الإنسان عن عيبه لمن دواعي الغرور، والغرور من دواعي التمادي في الغي، والتمادي في الغي من موجبات الهلاك....فقد الإحساس من أكبر مميزاتنا...ونحن في نومة أهل الكهف والرقيم..." (الإبراهيمي ج1، 1997، صفحة 58).**

ولما كان المجتمع الجزائري عالم بحاله وظروفه وواقعه المرير فإنه أقرب إلى فهم علل التقهقر التي تنهش جسده، فكلما كان الفرد قريبا من واقعه المعاش فإنه يدرك مشاكله الاجتماعية، وإن كان بعيدا عنها فإنه يكون أقل معرفة بها بل ولا يعيرها أية أهمية (معن، 2005، صفحة 43).

وهو ماعبر عنه محمد البشير الإبراهيمي، الذي عايش بدوره واقع بلاده، وكان مطلعا على دسائس ومكائد المستعمر الفرنسي، وبالتالي كان مدركا للمشاكل التي يعاني منها المجتمع الجزائري، فالسياسة الفرنسية المنتهجة تجاه الجزائريين، كانت كفيلة بإعطاء صورة واضحة عن معاناتهم، فقد تمكن من توضيح هذه السياسة وكشف دسائسها وفضح آلياتها كما هو الحال بالنسبة لدستور 1947م الذي وصفه بـ"الأعرج" كونه لا يخدم الجزائريين من أي جانب (الإبراهيمي ج3، 1997، صفحة 29).

والحق أن البشير الإبراهيمي يرى في العلم بعلل المجتمع فرصة للفرد الجزائري لمقارعة المستعمر وكشف نواياه، كما أن فهمه لمشاكل مجتمعه يبعث فيه روح الاجتهاد لبحث الحلول والعمل على إصلاح ما في المجتمع من مشكلات،فالمشاكل التي يعاني منها المجتمع ليست مجرد حالات عارضة، لذلك وجب الالتفات إليها ووضعها في عين الاعتبار، والعمل على معالجتها وإلا فإن بناء مجتمع صالح –كما نظر إليه الابراهيمي- في ظل وجود مشاكل عديدة سيكون كمن يبني قلعة رمل في مهب ريح عاتية.

فالإبراهيمي في إطار بناء مشروع مجتمعي كما صورته أفكاره وآراءه، لم ينطلق من فراغ وإنما من حقيقة واقعة ماثلة أمامه، وهي مشاكل المجتمع الجزائري في ظل النير الاستعماري، فقد نشأ وترعرع في مجتمع مليء بالآهات والأنات والقمع الاستعماري، وبالتالي وقع على كاهله مهمة النهوض بهذا المجتمع من خلال خلق وعي بضرورة النهوض ونفض غبار الاستعمار ونشر ذلك بين أبناء المجتمع الجزائري في ظل سياسة العبث الثقافي الاستعماري (داروشة، 2018، صفحة 304).

وفي ذات السياق وعن مدى ارتباط بناء المجتمع في مشروع الإبراهيمي بالفهم السوسيولوجي لمشكلات المجتمع، والوقوف عندها ودراستها، أوضح البشير الإبراهيمي كيف للنهضة الإصلاحية التي جاءت لبناء وإصلاح المجتمع أن تقوم لها قائمة في الجزائر دون النظر إلى مواطن الضرر والانكفاء الاجتماعي والثقافي (الجهل والفقر)، وهو ما رصده الإبراهيمي عقب رجوعه من رحلته المشرقية أواخر العشرينات وبداية الثلاثينات (جباري، 2023، صفحة 141).

وأكثر توضيحا لهذه النقطة،فإن الإبراهيمي قد أعرب عن ضرورة فهم مشكلات المجتمع للتمكن من حلها للوصول إلى بناء مجتمع صالح، وهو ما جسدته تجربته الاجتماعية مع المستعمر الفرنسي

وممارساته، فقد أشار في آثاره إلى بيئته الاجتماعية التي نشأ فيها والمفتقرة إلى عديد المرافق خاصة الصحية منها، وهو الأمر الذي كان سببا في عاهة العرج التي أصابت رجله، جراء عدم تمكنه من تلقي العلاج إثر إصابة في رجله فقد**"كان للإهمال والبعد عن التطبيب المنظم أثر كبير في إصابتي بعاهة العرج في رجلي..."** (بن خوية، 2018، صفحة 14)، وهو مايدل على أن مشاكل الجزائريين هي جراء السياسة الاستعمارية التي مست جميع المجالات والميادين الحيوية.

كذلك وفي إطار البحث عن المشاكل والإقرار بها، أرجع الإبراهيمي مشاكل الجزائريين إلى وضعهم جراء الاستعمار كما سبق وذكرنا أنفا، هذه المشاكل التي في مجملها مشاكل اجتماعية وثقافية واقتصادية ، والتي تتعارض والبناء المجتمعي الذي يسعى إلى تحقيقه،ذلك أنها وجدت في ظرف استعماري شهدت فيه الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية تقهقرا كبيرا بفعل سياسة الاستعمار الفرنسي، وبالتالي فإن أول خطوة لبناء مجتمع جديد هو محاولة تجاوز هذه المشكلات التي باتت ظاهرة وواضحة للجزائريين، فشعور أفراد المجتمع بمثل هذه المشكلات والظروف التي نشأت فيها يعني أنها باتت تتقاطع مع قيمهم وبالتالي لايرغبون بها ولا التعايش معها (بن زاف، 2022، صفحة 604)، ومن هنا سيعملون على التخلص منها من خلال إيجاد الحلول لها.

ولمن يتتبع واقع المجتمع الجزائري في هذه الفترة يلحظ ذلك الانقسام الاجتماعي والتمييز الواقع بين الجزائريين والمستوطنين، ويلحظ كذلك الفوارق والنقائص الاجتماعية الثقافية والاقتصادية جراء ممارسات الإدارة الفرنسية(البطالة، الفقر، تدهور الوضع الصحي، الحرمان الثقافي) ، إلى جانبها رياح التغريب التي تسللت إلى المجتمع الجزائري وتسببت في انسلاخه عن ثقافته وقيمه (بن ملوكة، 2013، صفحة 140)، بالمقابل هناك نوع من الوعي والصحوة والإدراك لمثل هذه المشكلات والتي أدركها الجزائريون بفضل جهود المصلحين والمفكرين الذين دفعوهم إلى تجاوزها وإيجاد الحلول لها، وهو ما بلورته أفكار البشير الإبراهيمي من خلال مشروع المجتمع الذي جاء به، والذي نوه إلى ضرورة تتبع ورصد المشكلات التي يتخبط فيها المجتمع وتشخيصها ثم وصف الدواء لها.

2-إيجاد الحلول (وصف الدواء لعلل المجتمع):

من خلال قراءة لآثار وخطابات الإبراهيمي، يمكن استخلاص بعض النقاط المتعلقة بكيفية إيجاد الحلول لعلل المجتمع، وليس القصد هنا التفصيل في هذا الجانب لأننا سنأتي على ذكر ذلك لاحقا، وإنما تقديم أفكار وتصورات الإبراهيمي في كيفية إيجاد حلول لمشاكل المجتمع.

من المسلم به أن المجتمع مجموع أفراد كل له تفكيره وتصوره الخاص حول المشكلة التي يعاني منها هو شخصيا أو التي يعاني منها غيره أو مجتمعه، ذلك أن الفرد له جانبين اجتماعي وآخر شخصي ذاتي (زيمل، 2017، صفحة 76)، والبحث عن حل لها سيكون من ناحيتين، الأولى تقديم حل موضوعي لكل المشكلات التي تعترض المجتمع باختلاف أشكالها ، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال العمل الجماعي، والناحية الثانية الحل الذاتي والذي يكون فيه الفرد أمام خيارين إما أن يحل مشكلته بنفسه وهذا نوعا ما صعب نظرا لطبيعة هذا الفرد، والخيار الثاني هو إيجاد حل جماعي لمشاكله.

أ-الحل الموضوعي :

المعروف أن أي مشكلة متعلقة بالمجتمع تستدعي فهمها موضوعيا، من خلال فهم أسبابها والظروف المحيطة بها، وهذا يستدعي من الفرد والمجتمع معا ضرورة العمل ظاهريا وميدانيا لإيجاد الحلول لمشاكلهم، وهو ما أوضحه محمد البشير الإبراهيمي حينما أشار إلى ضرورة العمل الميداني لإيجاد حل لمشاكل المجتمع، ذلك أن أفراده يكونون قريبين من محيط المشكلة وواقفين عليها ظاهريا، كما أن العمل مقترن بتطور ونهضة المجتمع، ولا حل لمشاكله إلا من خلال العمل الجاد قولا وفعلا، يقول: **"...وأخس المنازل للرجل منزلة القول بلا عمل، وأخس منها أن يكون الرجل كالدفتريحكي ما قال الرجال وما فعل الرجال دون أن يضرب معهم في الأعمال الصالحة بنصيب، أو يرمي في معترك الآراء بالسهم المصيب"** (الإبراهيمي ج1، 1997، صفحة 58).

ولما كان العمل ضرورة لابد منها لتتبع مشكلات المجتمع والوقوف عليها، فقد ارتبط هو الآخر بتكاتف الأفراد وتوحيد عملهم لإيجاد الحلول المناسبة لمشاكل مجتمعهم، كما هو الحال بالنسبة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي وجد فيها الابراهيمي أرضية مناسبة للعمل الجماعي، الذي كان بينه وبين جملة من المفكرين والمصلحين منهم عبد الحميد بن باديس، استطاعوا من خلالها تثبيت قواعد العمل والاتصال بطبقات الأمة (الإبراهيمي م.، 2007، صفحة 101)، والذي كان فرصة

سانحة للبث في مشاكل المجتمع والعمل على حلها موضوعيا بما يتناسب ووضع المجتمع الجزائري في تلكم الفترة،فقد كانت إطار تنظيميا جماعيا لعلماء الجزائر وملتقى لتوحيد الرؤى والجهود بشأن الإصلاح (صالحي، 2017، صفحة 132)، يقول عنها: **" ما تهيأت وسائل تكوين الجمعية إلا بعد أن صارت حاجة من حاجاتها وإلا بعد أن استلزمتها ضرورتها الاجتماعية و اقتضتها سنة تعاقب الأطوار...دفعت إلى التكوين دفعا..."** (الإبراهيمي ج1، 1997، صفحة 129).

فالجمعية أتاحت للإبراهيمي فرصة العمل الجماعي، والذي كان ضرورة لابد منها لحل مشاكل المجتمع الجزائري في تلكم الفترة، والعمل على غرس الوعي والفكر الإصلاحي في أوساط الجزائريين، وهو ما من شأنه أن يحد من المشاكل العديدة التي بات يتخبط فيها الفرد خاصة والمجتمع عامة.

ب-الحل الذاتي:

كما سبق وذكرنا أن الفرد مثلما هو اجتماعي فهو أيضا مخلوق شخصي ذاتي، له مشاكله هذه المشاكل التي تعتري الفرد مشاكل تمس بمشاعره وقيمه ومبادئه، وهو ما انطبق فعليا على الفرد الجزائري الذي عانى من كل أشكال العبث الاستعماري خاصة ماتعلق منها بأحواله الشخصية وثوابته الوطنية.

وحسب آثار وخطابات الإبراهيمي، فإن الحل الذاتي أو الشخصي لمشاكل الفرد يكون من خلال تعميق الإصلاح النفسي والروحي، والذي يتحدد من خلال الإصلاح الديني والاجتماعي والثقافي للفرد الذي سنأتي على توضيحه لاحقا، فالقيم والمبادئ التي يتمتع بها الفرد حينما تتعرض إلى الطمس والتشويه من قبل الاستعمار، فإن الفرد يدخل في دوامة من المشاكل النفسية والروحية كما هو الحال بالنسبة لاحتفالية فرنسا المئوية لاحتلالها الجزائر سنة 1930 والتي عدت مشكلة مجتمع كامل كونها لامست مقومات وثوابت المجتمع الجزائري، كذلك هي مشكلة شخصية تخص كل فرد جزائري، خاصة وأنها جاءت لزعزعة مكانة الإسلام لدى الجزائريين و"تشييع جنازة الإسلام" في الجزائر (أبرير، 2015، صفحة 391).

ولتجاوز هذه المشاكل وجب على الفرد أن يحافظ على مقوماته وثوابته من الزيف الاستعماري وسياسة التثقيف الفرنسية الواهية التي استعمرت العقول والأذهان،ولا يكون ذلك إلا من خلال العودة إلى العقيدة الحقة وتعاليمها السامية والتمسك بها، والأخذ بالنصيحة لأنها تجبر ما خلفته المشاكل التي طالت الفرد نفسيا وروحيا ، ولأن الدين مقرون بها يقول صلى الله عليه وسلم : **" (الدين النصيحة)، فقيل: لمن يا رسول الله؟ قال:(لله ، ولكتابه، ولرسوله،ولأئمة المسلمين وعامتهم)** (بن الحجاج، 1998، صفحة 54).

وليس الحل الذاتي لمشاكل المجتمع أو الفرد منوطا بهذا الأخير فحسب، بل إن للعمل الجماعي هو الآخر دور في نجاعة الحلول المقدمة، ذلك أن الفرد اجتماعي بطبعه وفي اجتماعه مع غيره تقوية للعمل وإفشال لمسعى الاستعمار في التفرقة ، وعن ذلك يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: **" لا يماري في لزوم الاتحاد إلا قصير النظر في العواقب، أو خادم لركاب الاستعمار من حيث يدري أو لا يدري، أو مدخول النسب في الوطنية، أو مغطى البصر في العصبية الحزبية"** (الإبراهيمي ج3، 1997، صفحة 305).

لقد كان الشيخ الإبراهيمي ينظر إلى المشاكل التي تعتري المجتمع الجزائري نظرة الفاحص المتعمق والممحص الناقد لها، ويعرضها بشكل متسلسل منهجي من حيث الأفكار، معتمدا في ذلك على غزارة علمه وفكره ، مقترحا الحلول المناسبة من وحي الدين الإسلامي، كما هو الحال لمشكلة المغالاة في المهور في مقال له بعنوان **" الصداق.... وهل له حد؟"**، أين استعرض المشكلة متحدثا عن أسبابها، ثم بين مشروعية الصداق (بالولي، 2018، صفحة 212).

فالإبراهيمي في كل مرة يعالج فيها مشكلة من مشاكل المجتمع يعود إلى العقيدة وتعاليمها وهو شيء ألفناه في الإبراهيمي بحكم علمه الغزير وتكوينه الفكري، وتجاريه الإصلاحية العديدة مشرقا ومغربا.

المبحث الثاني: عناصر البناء المجتمعي لدى البشير الإبراهيمي.

يعد المجتمع الجزائري مجتمعا معقد التكوين ذلك أنه يتكون من عدة عناصر سكانية إلى جانب الفوارق الدينية (الإسلام- المسيحية....)، وهو الأمر الذي شكل تربة خصبة لنمو الفكر الاستعماري

القائم على زرع التفرقة والعنصرية في أوساط الجزائريين،وبالتالي تفكيك المجتمع والقضاء على وحدته .

ولما كان البناء المجتمعي ضرورة ملحة لتجاوز تلك الممارسات الاستعمارية، وفرصة لإعادة تشكيل مجتمع جديد وهي الفكرة التي لجأ إليها الرعيل الأول من الإصلاحيين في الجزائر، وعلى رأسهم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، الذي جاء بمشروع مجتمع جسد أفكاره وتصوراته، ولتحقيق هذا المشروع ركز الإبراهيمي على ضرورة وجود عناصر هامة وأساسية في عملية البناء الاجتماعي، والتي خصها بجانب كبير من الأهمية ضمن آثاره وخطاباته، وهذه العناصر هي: الشباب ، المرأة ، الأسرة.

1-الشباب:

المعروف أن الشباب هم ثمرة المجتمع وأساس بنائه وتطوره وازدهاره، وحديثنا هنا عن الشباب ليس حديثا عن فئة عمرية وإنما حديث عن فئة ذات وزن اجتماعي وثقافي وسياسي وحتى اقتصادي، هي قوة خلاقة وإبداعية على أساسها ربط البناء المجتمعي **"فالشباب هم عقل المجتمع ونبضه وسواعده"** (لولي، 2016، صفحة 54)، كما أنهم قوة المجتمع نظرا لقدراتهم العقلية والدينية وهو ما جاء في القرآن الكريم ، يقول تعالى : ﴿ **الله الذي خلكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير** ﴾(الروم-54-)

ولما كان ما كان للشباب من أهمية بالغة في صناعة المجتمع، فقد مثلت هذه الفئة عنصرا بارزا وذو مكانة هامة في فكر الشيخ البشير الإبراهيمي، والتي خصها بحديث واسع من شتى الجوانب، وما يهمنا هنا هو مكانة هذه الفئة في المشروع المجتمعي للإبراهيمي.

وفي معرض حديثه عن الشباب ومكانته في المجتمع يقول الشيخ الإبراهيمي: **" الشباب في كل أمة هم الدم الجديد الضامن لحياتها واستمراروجودها، وهم الامتداد الصحيح لتاريخها، وهم الورثة الحافظون لمآثرها، وهم المصححون لأغلاطها وأوضاعها المنحرفة، وهم الحاملون لخصائصها إلى من بعدهم من الأجيال"** (الإبراهيمي ج4، 1997، صفحة 120).

فوصف الإبراهيمي للشباب بالدم ذلك أنهم شريان حياة الأمم وعليهم تقوم ديمومة واستمرارية المجتمع، كما أنهم هم حاملوا مجد الأمة وازدهارها، فلولا الشباب لغدت كل أمة منقطعة الأوصال ، ومنحرفة أمام دس الاستعمار .

إن الجدير بالذكر في هذا المقام هو التنبيه إلى أن هذا الوصف الدقيق وهذا التقديم الكامل حول الشباب، لم يكن دون دراسة أو ضبط ذلك أن الإبراهيمي من خلال تجاربه وترحاله وقف على هذه الشريحة وعلى مكانتها ودورها في البناء الاجتماعي(احتكامه بالطلبة في المشرق خاصة)، وهنا تبرز حنكة وأصالة الإبراهيمي في وصف هذه الفئة وربطها بمشروع المجتمع الذي جاء به، كما ربط هذه الفئة بظروف وتحديات الواقع، معلقا آمالا كبيرة عليها في تجاوزها ، ونستحضر في هذا الصدد جزءا من مقال له حول الشباب يقول فيه عنه : **" ...أتمثله متسامياً إلى معالي الحياة،.....متقد العزم....مقداماً على العظائم في غيرتهور، محجاماً عن الصغائرفي غيرجبن، مقدارموقع الرجل قبل الخطو جاعلاً أول الفكرآخر العمل..."** (الإبراهيمي ج3، 1997، صفحة 509).

هذا وقد وعى الإبراهيمي ما للشباب من أهمية ودور في بناء الأمم وتقدمها، فراح يثني ويشيد بهم لأن فيهم تكمن أهمية الأمة وبهم يتم بنائها، ولا يتحقق ذلك إلا باجتماهم واتحادهم، إلى جانب توفر الصحة العقلية والبدنية فيهم، وعن ذلك يقول: **"...ولا ينفع الشباب أمته إلا إذا جمع بين صحة العقل، وبين صحة الجسم، أما صحة العقل فإن علينا بنيانها، وفي ذممنا ضمانها وأما صحة الجسم فمن المسكن الصالح مبتداها، وإلى الغذاء النافع منتهاها، وكلا هذين دين على الأمة واجب الأداء"** (الإبراهيمي ج2، 1997، صفحة 453).

ومن ثمة فإن من الأهمية بمكان الإقرار بمكانة الشباب في المجتمع، والعمل على الحفاظ عليهم وعلى مكانتهم من خلال تعزيز دورهم، وحمايتهم من كل أشكال الدنس الاستعماري والحرص على تلقينهم مبادئ الدين السمحة من قيم الخير والفضيلة،فهم شريان الأمة ودمها المتدفق، يقول البشير الإبراهيمي: **" إن شباب الأمة، هو الدم الجديد في حياتها، فمن الواجب أن يصان هذا الدم عن أخلاط الفساد، ومن الواجب أن يتمثل فيهم الطهر، والفضيلة، والخير، ومن الواجب أن تربى ألسنتهم على الصدق وقول الحق ، لا على البذاء وعورات الكلام..."** (نويهض، 2012، صفحة 72).

إذ لا صلاح للشباب إلا من خلال اجتناب كل عوامل الفتك والهدم الاجتماعي والثقافي الاستعماري، التي تحمل معها الوبال والخراب أينما حلت والتي هي: الاستهتار(الميل لحياة اللهو واللغو)، والجمود(البقاء في حالة واحدة دون تغييرها)، والجحود(إنكار الحقائق) ، هذه العوامل مجتمعة تشكل معاول الهدم التي تفتك بشباب المجتمع الجزائري (بوزوزو، 1951، صفحة 2).

وعلى هذا الأساس ركز الشيخ محمد البشير الإبراهيمي على مكانة الشباب في البناء الاجتماعي، فهم أساس وركيزة المجتمع وبدونهم لا تقوم لهم قائمة،واهتمامه الكبير بهذه الفئة جاء تبعا للظروف الاجتماعية والثقافية في تلكم الفترة، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار سياسة التثقيف الفرنسية إلى جانب السياسة الاجتماعية، أين كان شباب الجزائر منقسمين إلى فئتين شباب متفرنس وآخر محافظ، وهو ما مكن فرنسا من الإضرار بالمجتمع الجزائري، من خلال خلق هوة اجتماعية وثقافية بين شباب الجزائر، مثلت الفئة الأولى مثالا للشباب المثقف المتقبل للثقافة الفرنسية، بينما الذين مثلوا التيار المحافظ والنخبة التقليدية فقد كانوا القلة المتخلقة والمضطهدة والمشردة (سعد الله ج2، 1992، صفحة 66).

هذا الكلام النظري للإبراهيمي بخصوص الشباب الجزائري، كان حصيلة ملاحظاته لواقع مجتمعه بل وحتى المجتمع العربي المسلم ككل، هذا ولم يقتصر على الجانب النظري في كلامه، فكونه كان مرتحلا بين المشرق والمغرب مكنه من التقرب من الفئات الشبانية في المشرق وفي الجزائر أيضا، وبالتالي قدم لنا من خلال ذلك مثالا واقعيا عن هذه الفئة التي لابد لها من التمسك بكل موجبات النهضة والتثقيف، من خلال مزاحمة ومقارعة أصحاب الرأي وأولي الأمر والنهى، وهو ما عبرت عنه حلقات السمر وتبادل المعرفة خلال تواجده بالمشرق أين كان يتردد رفقة زميله الشيخ الخضر حسين على منزل صديقهما الشيخ بهجت البيطار، للسمر مع الشيخ رشيد رضا، وأخذهما عنه شتى المعارف والخوض في مختلف المواضيع (الإبراهيمي ج1، 1997، صفحة 180)،و هو لدليل على أن أولى ملامح البناء المجتمعي من خلال فئة الشبان قد تبين مع البشير الإبراهيمي وأمثاله من الشباب، وهو ما أراد أن يتوفر في شباب الجزائر الذي سيكون أساس المجتمع.

فتجربة الإبراهيمي في مجال الإصلاح، وحتى تكوينه الفكري خلقا منه شابا صالحاً نافعاً لمجتمعه وأمته معاً،وقد رأى في التقرب من المصلحين والمفكرين فرصة لبناء شباب مصلح وواعي، وهو ما

جسدته لقاءاته رفقة العديد من المفكرين والطلبة سواء جزائريين كانوا أو مشارقة، كما أن علاقته بالشيخ عبد الحميد ابن باديس كانت أشد تأثيرا على فكره الاجتماعي والإصلاحي، خاصة وأن ابن باديس كان له الفضل في تكوين الشباب الجزائري وتثقيفهم،وهو ما أشاد به الإبراهيمي ونوه إليه بقوله: **"...ورأيت شبانا ممن تخرجوا على يد هذا الرجل وقد أصبحوا ينظمون الشعر العربي، بلغة فصيحة، وتركيب عربي حر...وموضوعات من صميم حياة الأمة...وأوصاف رائعة في المجتمع الجزائري...وآخرون يعتلون المنابر فيحاضرون في الموضوعات الدينية والاجتماعية..."** (الإبراهيمي م.، 2007، صفحة 231).

فالعناية البالغة للإبراهيمي بالشباب الجزائري جاءت من فكر وحس كبيرين بواقع هذا الشباب في ظل الاستعمار الفرنسي من جهة، وحاجة المجتمع الجزائري إليه لإعادة بناء نفسه وتجاوز تلك التحديات والفروق الاجتماعية التي أحدثها الاحتلال والتي تحول دون تطوره وازدهاره من جهة أخرى، ولأن الشباب هم زرع المجتمع وحصادها في صلاحهم صلاح المجتمع وفي فسادهم فساده،فقد كانت هذه الفئة العنصر الهام في البناء الاجتماعي، والركيزة الأساسية التي راهن عليها الإبراهيمي في مشروعه المجتمعي.

2-المرأة:

لم يقتصر اهتمام محمد البشير الإبراهيمي على عنصر الشباب فحسب في معادلته الاجتماعية لبناء المجتمع، وإنما وجه اهتمامه أيضا إلى عنصر آخر لا يقل أهمية عن الشباب، بل وعده أساس وجوده وهو العنصر النسوي أو " المرأة".

لا يخفى على أحد منا ما للمرأة من مكانة بارزة وهامة في المجتمع، فهي أساس وجود أفراده والذين هم بدورهم عنصر هام في بنائه وتكوينه(المرأة والمجتمع)، وبعيدا عن المعنى الدلالي للمرأة كجنس سنحاول تتبع مكانة هذه الأخيرة في فكر البشير الإبراهيمي، وعن دورها في مشروع المجتمع الذي جاءبه.

المعروف أن المرأة لها مكانة هامة في النسيج المجتمعاتي، وعن مكانتها في المجتمع الجزائري خلال الاحتلال الفرنسي وحتى مطلع القرن العشرين ، فقد كانت مهمشة من شتى النواحي وذلك جراء السياسة الاستعمارية التي استهدفتها كونها أساس المجتمع، فعملت على تمسيخ مكانتها وتوحيلها إلى أداة في يد المستوطنين تتولى شتى النشاطات التي تعود عليهم بالنفع فقد كانت مستبعدة ثقافيا

واجتماعيا ومستغلة من شتى النواحي، فتراجعت مكانتها واقتصرت على جانب الأعمال المنزلية فحسب (نافع، د ت، صفحة 152).

بالمقابل ومع الحركة الإصلاحية في الجزائر، تمكنت المرأة من استعادة مكانتها في المجتمع وخاصة مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، هذه الأخيرة التي اهتمت بقضية المرأة من كل النواحي خاصة من ناحية التعليم، فقد رأت في المرأة شقيقة الرجل وملازمة له وأنها نصف المجتمع، وأحد أركان الأسرة، وفي أميتها وجهلها تفكيك لبنية الأسرة، وضرر للمجتمع بل وشل لوظيفتها التربوية والاجتماعية التي وجدت من أجلها (قرة، 2018، صفحة 287).

وفي هذا الصدد يقول الإبراهيمي: **"....وإن المرأة إذا تعطلت عطلت الرجل، وإذا تأخرت أخرته، ولا سبب لانحطاط المرأة عندنا إلا هذا الضلال الذي شوه الدين وقضى على المرأة بالخمول فقضت على الرجل بالفشل، وكانت نكبة على المسلمين، وما المرأة المسلمة الجزائرية إلا جزءاً من المجموعة الإسلامية"** (الإبراهيمي ج4، 1997، صفحة 264).

ولعل مسألة التكامل بين الرجل والمرأة هو ما أراد الإبراهيمي توضيحه من خلال قوله، فالمرأة شقيقة الرجل خاصة من ناحية المسؤولية المنوطة بهما، وفشل المرأة أو تعطلها عن وظيفتها سواء الدينية أو الاجتماعية سيؤدي لا شك إلا تعطل الرجل وفشله في مسؤولياته،فعلاقتهما تقوم على التكامل كما أن انحطاط مكانتها مرده الابتعاد عن الدين، لذلك فإن صلاحها مرهون بتكوينها العلمي الديني، فمتى أردنا رجالا عظماء وجب تكوين أمهات متدينات (ضيف، د ت، صفحة 83).

هذا وكان لملاحظات الإبراهيمي بشأن واقع المجتمع الجزائري عامة والمرأة الجزائرية خاصة ، دور في بناء نظرته وتصوره بشأن المرأة ومكانتها في المجتمع، ذلك أنه وقف على عمق التعسف الاستعماري الذي طالها،والذي يهدف إلى ضرب المجتمع الجزائري في تلاحمه ومقاومته وصموده ، لذلك استهدف المرأة لأن في ذلك استهدافا للأسرة والمجتمع بأسره (لحبيب، د ت، صفحة 6).

والمعروف أن المجتمع الجزائري مجتمع ذكوري يعتد ويعتز بمكانة الرجل أكثر من المرأة، لذلك ربط صلاح الرجل بصلاحها، وفشله بطلاحها خاصة أنها كانت مهمشة بفعل الاستعمار والعادات الدخيلة على المرأة والتي لا تمت بالإسلام بأية صلة، وليس التعسف الاستعماري فقط هو السبب في تراجع مكانتها، بل كان للمجتمع الجزائري هو الآخر دور في ذلك بحكم أنه مجتمع محافظ زاهد يمنع خروج

النساء للتعلم، ومنع العائلات الجزائرية لبناتها من التعلم بل وحتى عد أمر مناقشة ذلك من الكبائر (الإبراهيمي ج2، 1997، صفحة 21).

وبالعودة إلى جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في العناية بالمرأة وتعليمها، أشاد البشير الإبراهيمي بذلك، مؤكدا أنها حققت نجاحا في هذا الأمر، أين أصبحت النساء يتلقين دروسا في الوعظ والإرشاد، ويفهمن ما للمرأة وما عليها، كما ويلمس الرجال آثار تعليم المرأة في حياتهم، منها توليها مسؤوليات بيتها وأولادها (الإبراهيمي ج4، 1997، صفحة 170).

فالمرأة كانت حاضرة في الفكر الاجتماعي والإصلاحي الإبراهيمي، ولذلك كانت ضمن مشروعه المجتمعي الذي نظر له من خلال أفكاره وتصوراته، واهتمامه بها كما سبق وذكرنا أنفا نابع من واقع معاش، وهو الأمر الذي يفسر لنا الجدلية الاجتماعية القائمة بين التيار التغريبي والتيار المحافظ بخصوص المرأة الجزائرية،فالإبراهيمي الذي نشأ على التقاليد والقيم المحافظة وقف لاشك على مدى تحفظ المجتمع الجزائري اتجاه كل ماله علاقة بالمرأة ، بالمقابل كان الاستعمار يسعى لربح المرأة الجزائرية لصالح القيم الغربية للتأثير على الرجل وبالتالي يعني ذلك تحطيما للثقافة الجزائرية (نافع، د ت، صفحة 11).

وهو الأمر الذي عمل الإبراهيمي على معالجته من منطلق تصوراته وأفكاره الإصلاحية ونشاطه ضمن جمعية العلماء المسلمين، أين عمل على النهوض بالمرأة من خلال الحفاظ على مكانتها ضمن البناء الاجتماعي وصون كرامتها والدفاع عن مبادئها وقيمها في ظل موجة التغريب والهدم الاستعماري التي تستهدف تشويه مكانتها والحط منها وبالتالي خلخلة المجتمع الجزائري ككل.

إضافة إلى هذا فإن عنايته بتعليم المرأة لا يعني تغافله عن بقية القضايا التي تخصها من الزواج إلى قضية الميراث وغيرها من القضايا الأخرى، إلا أنه ركز على مسألة تعليمها ذلك أن التعليم يتيح للمرأة الحفاظ على مكانتها الاجتماعية من جهة، و تثقيفها ورفع ستار الجهل عنها وجعلها عارفة بأمور دينها وبالتالي تكون بقية المسائل التي تخصها قابلة للإصلاح من جهة أخرى، لذلك خاض مساجلات كثيرة في مسألة تعليم البنت الجزائرية شرط أن يكون ذلك في دائرة المثل الدينية والقومية والأخلاق والحشمة كما سطرت له جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (علي، 2020، صفحة 317)، أين كان يحث على تعلمها ويشجع ذلك درئا للرذيلة والمفاسد التي ينشرها الاستعمار في حقها والرامية إلى تجهيلها

والحط من مكانتها، يقول رحمة الله عليه: **" الحقيقة –أيها الرهط- أن الاستعمار متشائم بحركات جمعية العلماء كلها، لأنها إيقاظ لشواعر الأمة ، وإحياء للفضائل الإسلامية في أنفسها، ومتشائم –على الخصوص- بتعليمها للبنت المسلمة، لأن نتيجته تكوين بنت صالحة، تصبح غداً زوجة صالحة، وبعد غد أماً صالحة، وهاله أن تعمر البيوت بالصالحات، فيلدن جيلاً صالحاً صحيح العقائد، متين الإيمان، قويم الأخلاق، طموحاً إلى الحياة، فتطول به غصته، وتنتهي به قصته" (الإبراهيمي ج3، 1997، صفحة 384).**

3-الأسرة:

إلى جانب عنصري الشباب والمرأة اللذان أحاطهما الشيخ محمد البشير الإبراهيمي باهتمام بالغ ذلك لمكانتهما ودورهما في تشكل المجتمع، كذلك اهتم أيضا بعنصر آخر هام وهو "الأسرة" التي تعد نواة المجتمع وركيزته الأساسية، والحاملة لكل عناصر تكوينه من شباب ونساء وغيره، فهي الحاضنة لهذه الفئات وهي أيضا تشكل نسيجا اجتماعيا متكاملا على أساسها بني مشروع المجتمع لدى الإبراهيمي.

فالأسرة هي الخلية الأولى للمجتمع الكبير أو الأمة وهي أصل الفضائل الخلقية ولا تتكون هذه الخلية الكاملة إلا بالتقارب والزواج، وعليه فاعتبار أن الفرد هو أساس المجتمع غير مسلم به ذلك أنه يعد نصف الخلية بالنسبة للمجتمع (مكرم، 1988، صفحة 128)، وما أصدق القرآن وأعظم تعابيره وهو يعبر عن بناء الأسرة، يقول تعالى: ﴿**يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً**﴾ (سورة النساء-1-)

وحديث الإبراهيمي عن الأسرة من خلال خطاباته وآثاره ليس حديثا مباشرا ولا توصيفا لها، وإنما أورد أحاديث كثيرة تخص الجانب البنيوي والوظيفي للأسرة، وذلك من خلال حديثه عن الزواج وعن الطلاق وعن الميراث والصداق وأيضا عن المشاكل الاجتماعية التي تعتري المجتمع ككل.

فنجده متحدثا عن الزواج باعتباره عاملا أساسيا في تكون الأسرة يقول: **" راعى الإسلام كل ذلك فندب الزواج، وحض عليه وسماه إحصاناً، وشرع له من الأحكام ما هو أقرب إلى التيسير والفطرة والتسامح، كل ذلك ليحفظ على الشاب والشابة دينهما وعرضهما...فلا يتجاوزان بالفطرة حدود**

الله" ويضيف قائلا: **" إن مقاصد الإسلام في هذه السنة أعلى من كل ما يعلمه الناس، فهو يرمي بما شرع إلى بناء البيوت على المحبة والتعاون على تربية النسل وتعليمه وتقوية الأمة به"** (الإبراهيمي ج3، 1997، صفحة 295).

فالإبراهيمي في آثاره عالج مسألة الزواج ذلك أنه شرع لأجل بناء الأسرة واستمرارية النسل، ويرى في تأخر الشباب عن الزواج مشكلة اجتماعية وذلك بسبب التيار الغربي الذي يبيح الاختلاط وفي ذلك ضرر على الشباب ومساس بمبادئ الدين، فالحضارة الغربية أفسدت أذواقهم ، وأزاغت نظرهم إلى الحياة، حتى أن منهم من يزيغ فيتزوج بأجنبية متعلمة بدل المرأة الأمية ذات الفضائل والأخلاق (الإبراهيمي ج3، 1997، صفحة 294)، وأن عليهم الزواج لبناء مجتمع صالح وتفادي كل أشكال الانحرافات الأخلاقية التي يسعى الاستعمار غرسها في أوساطهم ، يقول مخاطبا إياهم:" **إنكم لا تخدمون وطنكم بأشرف من أن تتزوجوا، فيصبح لكم عرض تدافعون عنه وزوجات تحامون عنهن وأولاد يوسعون الآمال.... هنالك تندبون على المسؤوليات وتشعرون بها...وبذلك تزداد القومية في نفوسكم"** (الإبراهيمي ج3، 1997، صفحة 296).

وننوه هنا أن اهتمامه بالأسرة، نابع من البيئة الأسرية الخصبة التي نشأ فيها والتي ساهمت في تشكل شخصيته،ذلك لأن بيته كان بيت علم وفكر وأدب توارثه قرونا، ما ساهم في تراكم الإرث الأخلاقي والعلمي في أسرته (صداق وحمحامي، 2020، صفحة 165)، وهو شأن معظم البيوت الجزائرية في تلكم الفترة، أين كان هناك العديد من الأسر ذات المكانة العلمية المرموقة، وبالتالي كان اهتمامه بالأسرة نابعا من هذا الجانب، فلأجل بناء مجتمع قويم صالح لابد من أن تكون الأسرة التي هي نواة ذلك على قدر من الصلاح والعلم وفضائل الأخلاق التي ستغرسها في أبنائها.

ولهذا لم تكن دعوة الإبراهيمي إلى العناية بمسألة الزواج الذي هو أساس البناء الأسري نابع من فراغ، وإنما كانت دعوة صادقة قولا وعملا وفعلا، فقد كان بدوره ثمرة الزواج الناجح المبني على صلاح المرأة والرجل معا وما للفضائل والأخلاق من دور في تعزيز ذلك ، أضف إلى هذا أنه كان حريصا على مخاطبة الشباب وحثهم على الزواج، بل وقد أشرف بنفسه على زواج بعض الفتيات المتعلمات بمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة (لهلالي، 2019، صفحة 141).

ليست فقط مسألة الزواج الذي هو أساس بناء الأسرة هو ما ركز عليه الإبراهيمي، وإنما كما سبق وقلنا أنفا عالج العديد من القضايا التي تتعلق بالأسرة والتي سنعرضها في المبحث الموالي من البحث.

المبحث الثالث: محاور المشروع المجتمعي لدى محمد البشير الإبراهيمي.

لقد مثل مشروع المجتمع في فكر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي حصيلة لمجموعة من التجارب الاجتماعية والإصلاحية التي كان فيها الإبراهيمي قريبا من المجتمع بل ومتعمقا في سبر ظروفه وعيوبه في ظل الاستعمار الفرنسي، وكان لفكره الغزير دور في التنظير لهذا المشروع القائم على ثلاثية اجتماعية هي: الشباب، المرأة، الزواج ، والتي اعتبرها عناصر هامة في عملية البناء الاجتماعي.

ولما كان الإبراهيمي شديد الحرص على بناء مجتمع جديد قائم على روح الإصلاح والحداثة، باعتبارهما أساس قيام ونجاح هذا المشروع المجتمعي، فقد بين لنا من خلال خطاباته واجتهاده في هذا الميدان أبرز المحاور التي استند عليها مشروعه والتي تمثلت في: البناء الديني والعقائدي والبناء التربوي، والبناء الإجتماعي، البناء الإقتصادي.

1-البناء الديني والعقائدي:

مثل الجانب الديني والعقائدي كما سبق وذكرنا أنفا أحد أبعاد المشروع المجتمعي للشيخ البشير الإبراهيمي، وهو أيضا أحد المحاور التي استند عليها مشروعه وذلك لأن الدين والعقيدة هي أساس بناء المجتمع الصالح ، كما أن استمرارية التدين في مجتمع ما مرهونة بالحس المشترك وانسجامه مع التنظيم الاجتماعي السائد (منديب، 2006، صفحة 191)،فالدين هو دعامة مشروع المجتمع الذي جاء به، ومن أجل ذلك كرس نفسه وفكره من أجل تثبيت الدين في نفوس الناشئة وعمل على تصحيح العقيدة من الانحرافات والمغالطات والبدع التي ينشرها الاستعمار الفرنسي ومؤيديه من الطرقيين.

وقد قدم لنا الإبراهيمي توصيفا دقيقا عن واقع المجتمع الجزائري في ظل الاستعمار الفرنسي وممارساته التي استهدفت الدين ، يقول: **" جاءت فرنسا إلى الجزائر بالراهب الإستعماري لتفسد به على المسلمين دينهم وتفتنهم به عن عقائدهم، وتشككهم بتثليثه في توحيدهم...وجاءت بالمعلم الإستعماري ليفسد على أبناء المسلمين عقولهم، ويلقي الإضطراب في أفكارهم، ويستنزلهم عن**

لغتهم وآدابهم، ويشوه لهم تاريخهم، ويقلل سلفهم في أعينهم، ويزهدهم في دينهم ونبيهم..." (الإبراهيمي ج3، 1997، صفحة 96).

هذا العبث الاستعماري بدين الجزائريين وعقيدتهم من شأنه أن يضر بالمجتمع، الذي سيغدوا منسلخا من قيمه الدينية والأخلاقية ، دفع بالإبراهيمي للتركيز على ضرورة بناء العقيدة والدين من جديد في نفوس الجزائريين وذلك لإعادة بناء النسق الاجتماعي الذي خربه الاستعمار، واجتثاث كل الفروع الفاسدة التي حاولت فرنسا غرسها في المجتمع الجزائري، والعمل على بعث القيم الدينية من جديد فهي لم تنطفئ، فحسبه ما دامت نفحات القرآن تلامس العقول الصافية، وتلابس النفوس الزكية، فلابد من يوم يتحرك فيه العلماء فيأتون بالأعاجيب (عمارة، د ت، صفحة 38).

هذا وركز على البناء العقائدي والديني ، لأن العقيدة والدين هما الطاقة الكامنة التي تحافظ على بناء المجتمع من الإنهيار، وبالعقيدة يعتدي الفرد إلى طريق الصلاح بخطوات ثابتة مسددة لا تزيغ ولا تنحرف (مكرم، 1988، صفحة 75)، هذا ويرى أن العقيدة جزء من وجود الإنسان وزعزعتها زعزعة له وإلحاق ضعف به (القاضي، 2021، صفحة 9)، يقول: **" إن هذه الأشياء الروحية التي تسمى الدين والعقيدة والضمير، هي أشياء طبيعية، بل هي أجزاء من الوجود الإنساني، فمقاومها كمصادم الجبل الأشم، لا يبوء إلا بالزعزعة والضعضعة"** (الإبراهيمي ج3، 1997، صفحة 221).

حقيقة أن البناء العقائدي والديني كمحور من محاور البناء المجتمعي حسب البشير الإبراهيمي، حقيقة لا جدال فيها ولعل حوادث التاريخ أدل على ذلك، فالاستعمار الفرنسي حينما دخل الجزائر كان دافعه دينيا، كذلك حينا توغل في الداخل كان يروم بناء نسق اجتماعي قائم على ثلاثية مدنسة وهي: التنصير، الإدماج، التجنيس، والتي تغذيها العقيدة المسيحية ، مقابل محو تام للمجتمع الجزائري العربي الإسلامي ودينه وعقيدته، وتقديم الإنجيل له بدل القرآن على حد تعبير الكاردينال لافيجري (بلاح، 2006، صفحة 276).

والشيخ محمد البشير الإبراهيمي كان واقفا على مدى جسامة التدنيس الفرنسي الذي طال الدين والعقيدة، ولذلك دعا الجزائريين للعودة لدينهم من قرآن وسنة والتمسك بهما، والذي كان غاية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (ارفيس، 2021، الصفحات 281-282)، يقول: **" إن الحد الأخير الذي**

يحدده التاريخ لهذه الجمعية هو اليوم الذي يصبح فيه المسلمون كلهم بهذا الوطن ولا مرجع لهم في التماسك والهداية إلا كتاب الله وسنة رسوله، ولا سلطان على أرواحهم إلا الله الحي القيوم، ولا مصرف لجوارحهم وإرادتهم إلا الإيمان الصحيح، تنشأ عنه الأعمال الصحيحة فتثمر آثاراً صحيحة..." (الإبراهيمي ج1، 1997، صفحة 138).

2-البناء التربوي والأخلاقي:

لا يتحقق بناء المجتمع إلا إذا اجتمع الدين والأخلاق والتربية معا، ولأن الدين والعقيدة هي موطن الأخلاق والفضائل السامية،فقد دعا الشيخ الإبراهيمي في مشروعه المجتمعي إلى ضرورة التربية والعناية بأخلاق الفرد في ظل اليتم التربوي الذي نشره المستعمر، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال التعليم فمتى كان التعليم متاحا في مجتمع ما، كلما كانت تربية الفرد أنجع وأفضل وأقوم، فمن خلاله يلقن الفرد مبادئ الدين والعقيدة واللغة ومكارم الأخلاق، فتهذيب النفس والعناية بالفرد فكرا وعقيدة والانتباه لما يصيب الطلاب من انحراف فكري وعقائدي هي غاية المشروع المجتمعي التربوي (يحياوي، 2022، صفحة 473)، هذا ويرى في التربية والعلم سلاحا للوقوف في وجه المستعمر ، وعن ذلك يقول: **"....كما أن جهنم تتقى بالأعمال الصالحة، وأساسها الإيمان، فإن الاستعماريتقى بالأعمال الصالحة وأساسها العلم، وإذا كان العدو الأكبر لجهنم هو العمل الصالح، فإن العدو الأكبر للاستعمار هو التعليم...إن هذه الأمة رضيت لأبنائها سوء التغذية، ولكنها لن ترضى لهم –أبداً- سوء التربية، وأنها صبرت مكرهة على أسباب الفقر، ولكنها لا تصبر على موجبات الكفر" (الإبراهيمي ج3، 1997، الصفحات 220-221).**

ولما كانت دسائس الاستعمار الفرنسي ومخططاته قد بينت نواياه للاجتثاث الديني والمسخ الأخلاقي والتربوي للجزائريين، وعزمه على طمس معالم المجتمع الجزائري وتشويه شخصية أفراده، فإنه استطاع استكمال مخططه من خلال الاستعانة بمؤيديه من الطرقيين ، الذين أخذوا يعيثون في عقيدة الجزائريين خرابا، حتى تحول الإسلام معهم كأنه دين الدراويش لا العلماء (مليت، د ت، صفحة 5)،دون أن يعجز الفكر الإبراهيمي عن إيجاد بدائل وحلول للتصدي لممارسات المستعمر الباطلة وأعماله الخبيثة، وهو ما يثبت أن البشير الإبراهيمي قابل كل تصور استعماري لتقويض المجتمع الجزائري،ـ بتصورات وأفكار كانت بمثابة السلاح بيده، وهنا نتوقف للإشارة إلى أنه ولتحقيق البناء

التربوي والأخلاقي لابد من وجود أشخاص ضمن المجتمع تعهد إليهم مهمة هذا البناء، ويتعلق الأمر بالمعلمين، حيث يقول عنهم: **" إنكم رعاة، و أنكم مسؤولون عن رعيتكم، و إنكم بناة، وإن الباني مسؤول عما يقع في البناء من زيغ أو انحراف، وواجب المربي الحاذق المخلص، إذا أراد أن يصل إلى نفوس الأطفال أن يحملهم على طاعته وامتثال أمره بأسهل وسيلة، هو أن يتحبب إليهم، ويقابلهم بوجه متهلل، ويبادلهم التحية بأحسن منها.... وإن الصغير لا ينجح في القراءة، إلا أذا أحب معلمه كحبه لأبويه، وأحب المدرسة كحبه لبيت أبويه"** (الإبراهيمي ج2، 1997، الصفحات 112-113).

والتربية ليست من خلال تلقين اللغة والدين للفرد فحسب، وإنما من خلال العناية بأخلاقه والسمو بها وتهذيبها فأخلاق المجتمع هي تاجه وما دونها من دونية هي إساءة له،ولعل عناية الإبراهيمي بالأخلاق ودورها في صناعة المجتمع هو ما دفعه لمخاطبة الشباب الجزائري، موجها نصائح ووصايا لهم للتحلي بفضائل الأخلاق كالصدقن فمتى كان الصدق وسيلة لهم كان رضا الله جائزة لهم، ومن لزم المعاملة بإخلاص أراحه الله من الدعاوى الكاذبة، إلى جانب الصبر فهو من أخلاق الرجال، والعدل الذي هو طريق الاستقامة.... (مولى، 2020، صفحة 255)

وفي ذات المسعى أكد الإبراهيمي على ضرورة البناء الأخلاقي لاكتمال البناء الاجتماعي، فمتى ما كان المجتمع على قدر من الأخلاق النزيهة والتربية الصالحة كلما كان المجتمع صالحا راقيا في أخلاقه، بعيدا عن مسببات الفساد والانحلال الأخلاقي فالنهضات الصادقة تبدأ من الأخلاق وتنتهي إلى الأخلاق (الإبراهيمي ج4، 1997، صفحة 222)، ولعل هذا التأكيد على الأخلاق من قبل الإبراهيمي لم يأت من فراغ وإنما نابع من عمق تفكيره الإصلاحي وتكوينه الديني القويم، هذا الدين الذي جاء بمكارم الأخلاق وغرسها في خير خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم، والتي عبر عنها بقوله: **" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"** (الطبرسي، 2006، صفحة 86).

كما وكانت دعوته إلى البناء الأخلاقي ضمن مشروعه المجتمعي نابعة من واقع ماثل أمامه، حيث استفحل التنصير والتبشير في المجتمع، وأحكمت فيها الطرقية قبضتها عليه ببدعها وضلالاتها، فكانت دعوته للسمو بأخلاق المجتمع لتجاوز هذا الدنس الاستعماري الذي طالها ، وعن ذلك يقول: **"وأما اللازم الثاني وهو الأخلاق فنحن أحوج ما نكون إليه في هذا الزمان الذي كثرت فيه المبادئ**

العاملة على هدم الأخلاق الخيرية وكثرت فيه الأذواق المتطرفة....فالواجب على اجتماعنا الذي ننشد أن نبذل مجهودات قوية لرفع درجة الأخلاق عندنا" (الإبراهيمي ج1، 1997، الصفحات 52-53).

ويرى أن الرقي بأخلاق المجتمع ليس بالأمر العسير، من خلال إحسان تربية الفرد في المنزل وإحياء الأخلاق الإسلامية المتوارثة بالعودة للقرآن وإلى الأخلاق العربية (الإبراهيمي ج1، 1997، صفحة 53).

3-البناء الاجتماعي والاقتصادي:

المشروع المجتمعي لمحمد البشير الإبراهيمي قائم على عدة محاور بما فيها محور البناء الإجتماعي والاقتصادي، وقد اشرنا أنفا في معرض حديثنا عن عناصر المجتمع إلى الشباب والمرأة والأسرة كعناصر أساسية في بناء المجتمع وتكوينه، وفي هذا العنصر سنتحدث عن البناء الاجتماعي من خلال عرض لأفكار الإبراهيمي بشأن المشكلات الاجتماعية التي يتخبط فيها المجتمع، والتي تحول لاشك وعملية بنائه بناءاً سليماً، ثم نتطرق إلى البناء الاقتصادي باعتباره عنصر مكمل لعملية البناء المجتمع.

أ-البناء الاجتماعي:

المعروف أن البناء الاجتماعي لا يتحقق من خلال توفر عناصر وفئات بشرية فحسب، فلاجتماع هذه الفئات إلى جانب عوامل محيطة بالمجتمع كما هو الحال بالنسبة للمجتمع الجزائري في ظل الاستعمار الفرنسي من شأنه أن يخل بعملية البناء، وعليه لابد من مراعاة وجود فروقات ومشاكل في أفراد المجتمع بعضهم ببعض من جهة، وبينهم وبين عناصر أخرى-المستعمر- من جهة أخرى.

وفي هذه الورقة البحثية بخصوص البناء الاجتماعي الذي عده الإبراهيمي أحد محاور مشروع المجتمع، سنسلط الضوء على المشاكل التي يعاني منها المجتمع بما فيها مشكلة الطلاق والصداق وغيرها.

انطلاقا من إيمان البشير الإبراهيمي بضرورة تجاوز المشاكل الاجتماعية لتحقيق البناء الاجتماعي، تحدث عن الكثير من المشكلات والظواهر الاجتماعية ، منها الطلاق الذي يرى فيه ضررا على المرأة والمجتمع معا كونه يتسبب في تفريق وتشتيت الأسرة وأبنائها، يقول: " **الطلاق حل عقدة، وبت حبال،**

وتمزيق شملن وزيال خليط..." ويضيف أيضا: **" ...إنه لا أشقى من ابن المطلقة، وإن أباه يشقيه أولاً، ويشقى به أخيراً، فإن ربي في حضن أمه المطلقة شقي ببعده عن أبيه، وشقي أبوه بما تغرسه أمه في نفسه من بغض له وحقد عليه..." (الإبراهيمي ج3، 1997، الصفحات 300-301).**

القصد من هذا الحديث عن الطلاق، أنه يورث الأحقاد والنعرات والخلافات بين الأبناء والآباء، فهو مشكلة اجتماعية تعترض البناء الاجتماعي من خلال زرع الشتات والفرقة بين أفراد الأسرة، كما أنه يلحق أضرار بالمرأة التي هي عماد الأسرةن،ويعد نوعا من الفشل في دائرة الشخص الاجتماعية (علالي، 2008-2009، صفحة 184).

إلى جانب مشكلة الطلاق، عالج الإبراهيمي في خطاباته أيضا مشكلة الصداق-المهر- الذي تسبب في عزوف العديد من الشبان عن الزواج ، بسبب المغالاة فيها أين أضحى الفقراء يقلدون الأغنياء لمجاراتهم في ذلك يقول: **" من أمراضنا الاجتماعية التي تنشر في أوساطنا الفساد والفتنة، وتعجل بها إلى الدمار والفناء عادة المغالاة في المهور..." (الإبراهيمي ج3، 1997، صفحة 323).**

هذا ويرى أن المغالاة في المهور يفضي إلى مفاسد عظيمة، وهي كساد البنات وإعراض الشباب عن الزواج وانحرافهم عن الطريق المستقيم الذي أوجده الله، ولذلك يرى ضرورة تذليل العقبات الواقعة في طريق الشباب نحو الزواج، وأن يحرصوا ويراعوا الأخلاق والدين لا الثمن (فلوسي، 2002، صفحة 52).

ب-البناء الاقتصادي:

لعل من الاتساع بمكان أن يكون للاقتصاد مكانة في المعادلة الاجتماعية، وذلك كونه يمثل مكونا وعنصرا أساسيا لبناء مجتمع مستدام من خلال رفع المستوى المعيشي لأفراده وتحسين الدخل المالي له، وعند إسقاط هذا المفهوم على مشروع المجتمع الذي نظر إليه الشيخ البشير الإبراهيمي، نجد أن هذا الأخير لم يغفل العامل الاقتصادي في عملية بناء المجتمع ، وكان منطلقه لتفسير ذلك هو الواقع المعاش -الظرفين الاجتماعي والاقتصادي للجزائر في ظل المستعمر-، ومراعاة الجانب الأخلاقي والضوابط الدينية الاقتصادية التي أقرها الإسلام –منع الربا والغش والإضرار بالأخرين... (السمالوطي، 1998، صفحة 195)

أين ركز على الجانب المالي وسياسة التفقير التي مارسها الاستعمار الفرنسي على الجزائريين لإضعافهم اقتصاديا،فلطالما نادى بضرورة النهوض بالاقتصاد من خلال تأسيس شركات وتعاونيات فلاحية بين التجار والفلاحين، لتفادي التبعية للاستعمار وتحكمه في اقتصادياتهم، إلى جانب حثه الجزائريين على إقامة مصارف مالية صغيرة تكون واسطة بين الجميع، ومرجعا لصندوق التوفير **(قرود، د ت، صفحة 186)**.

وفي ذلك نظرة صائبة نحو إقامة نظام اقتصادي اجتماعي، يتيح انتعاش المبادلات الاقتصادية وازدهار العلاقات الاجتماعية، وبناء شبكة تواصل بين الأفراد، وتحقيق النماء الاقتصادي للمجتمع، الذي سيضمن ازدهاره ورقيه وتطوره بعيدا عن التبعية الاستعمارية.

فبوجود الهيمنة الاستعمارية على الاقتصاد الجزائري، والتبعية العمياء للغرب ولدت قيود اقتصادية حالت دون انتعاش اقتصاد الجزائر، وهو الأمر الذي دفع الابراهيمي إلى توجيه رسالة للجزائريين بضرورة النهوض باقتصادهم من خلال رعاية الأعمال الاقتصادية الصغيرة من تجارة وفلاحة، وتوحيد الجهود لبناء اقتصاد موحد ، قائم على صناعة الثروة التي هي أساس البناء الاجتماعي وتطوره، لذلك نجده يحث الشباب على كسب المال يقول:" **...إن سوق المال اليوم معترك أبطال وأن جوانبه رماة ونحن الهدف، وأن مكان المال من الحياة مكان الوريد من البدن، وأن الزمان داردورته وقضى الله أن يصبح المال والعلم سلاحين لا يطمع طامع في الحياة بدونهما"** **(الإبراهيمي ج1، 1997، صفحة 55)**.

وعليه فإن مشروع المجتمع الإبراهيمي قد استند على ثلاثة محاور ودعائم، والتي جسدت كل تصورات وأفكار الإبراهيمي بخصوص كيفية بناء مجتمع جديد بعيدا عن النموذج التقليدي للنسيج الاجتماعي الذي ألفه عن المجتمع الجزائري في ظل الاستعمار الفرنسي وممارساته.

خلاصة لما تقدم عرضه بخصوص عناصر مشروع المجتمع الجزائري لدى البشير الإبراهيمي وأبرز محاور توصلنا إلى تسجيل الاستنتاجات التالية:

-في ظل الظروف التي ميزت الواقع العام للمجتمع الجزائري والتي عايشها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، جاءت الفكرة نحو كيفية بناء مشروع المجتمع الذي طرحه من خلال تصوراته وأفكاره، والذي انبنى على أولويات جسدت لنا إستراتيجية عميقة في كيفية تعامل الإبراهيمي مع فكرة بناء المجتمع، وذلك من خلال تتبعه لمشاكل المجتمع والإقرار بها ثم العمل على إيجاد الحلول لها سواء كانت حلولا موضوعية أو ذاتية .

-كان تركيز الشيخ البشير الإبراهيمي على عنصري الشباب والمرأة وإلى جانبهما الأسرة لبناء المجتمع، للتأكيد على أنها أبرز العناصر الرئيسية في عملية البناء الاجتماعي، فالشباب هم ثمرة المجتمع ووقودها نحو الرقي والتطور، والمرأة هي حاضنة هذا الشباب وهي المسؤولة عن تربيته ، أما الأسرة فهي نواة المجتمع وركيزته ولبنته الأساسية، في جانبها البنيوي والوظيفي.

-من محاور ودعائم المشروع المجتمعي لدى الشيخ الإبراهيمي، محوري البناء الديني العقائدي والبناء التربوي والأخلاقي إلى جانب البناء الاجتماعي والاقتصادي، والتي ركز عليها الإبراهيمي وأولاها اهتماما بالغا، انطلاقا من أن بناء المجتمع لا يتأتى إلا من خلال غرس الدين والعقيدة في أفراده، وأن البناء التربوي والأخلاقي منوط بالبناء الديني ، فمتى ما كان الدين متجذراً في المجتمع كلما كان أفراده أكثر وعيا وتعلما ورقيا أخلاقياً.

-التركيز والترغيب في البناء الاجتماعي والاقتصادي في بناء المجتمع النافع المزدهر، نظرا لأهمية عناصر المجتمع في تكوينه إلى جانب المشاكل الاجتماعية التي من خلالها تتحدد طبيعة تكوين المجتمع ومدى نجاح ذلك، وأن في تجاوزها وإيجاد الحلول لها فرصة لتحقيق بناء اجتماعي سليم، ناهيك عن

الترغيب في البناء الاقتصادي كونه منوط بالبناء الاجتماعي، فلا وجود لمجتمع متطور دون وجود ركيزة اقتصادية ومالية تتيح الانتعاش والتحرر المالي والاقتصادي لأفراده.

الفصل الرابع:

آليات تحقيق مشروع المجتمع لدى الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

المبحث الأول:العمل التعليمي التربوي.

المبحث الثاني:العمل الجمعوي الإرشادي.

المبحث الثالث:العمل الإعلامي.

استطاع الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أن يقدم لنا مشروعاً كاملاً عُني بإقامة مجتمع جديد وفقا لأسس ومحاور عدة، والتي كان فيها الجانب السوسيولوجي والإصلاحي أكثر الجوانب التي ركز عليها الإبراهيمي وخصها بالكثير من الدراسة، فضلا عن بقية المحاور الأخرى التي كانت أيضا ضمن متطلبات التكوين المجتمعي الذي نظر له من زاوية التغيير الاجتماعي والبعد الفكري الإصلاحي المجرد من كل أشكال التغريب والانحياز، والعمل على إصلاح أعطاب المجتمع والنهوض به من كل النواحي.

ولأن الفكرة تحتاج إلى عمل وتطبيق فعلي لاكتمالها وتحققها، فقد قدم لنا الشيخ الإبراهيمي آليات وطرق متعددة يجب الأخذ بها لتحقيق مشروع المجتمع الذي دعا إليه، والتي تشمل العمل التربوي التعليمي، واعتماد النشاط الجمعوي الإرشادي، ناهيك عن العمل الصحفي الذي من شأنه أن ينقل أفكار الإصلاح والتجديد إلى أفراد المجتمع وينشر الوعي في أوساطهم.

المبحث الأول: العمل التعليمي التربوي.

مثل التعليم أداة فعالة للنهوض بالفرد والمجتمع والعمل على ازدهاره ورقيه، ذلك أنه يقف في وجه كل أشكال التحريف الثقافي الاستعماري الذي طال التعليم في الجزائر، أين أضحى هذا الأخير بين فكي كماشة،ولتشديد الخناق عليه ربط بقوانين من شأنها محو كل أشكال التعليم العربي الإسلامي وإحلال التعليم الفرنسي مكانه.

ومن الملفت للنظر أن إدارة الاحتلال الفرنسي قد كرست كل جهودها لجعل اللغة الفرنسية شريكة في العملية التعليمية بالجزائر، من خلال إقناع الجزائريين من موظفين موالين لها ورجال الدين الرافضين للتعليم الفرنسي بمشروعية تدريسها، وما لها من فوائد علمية واقتصادية تحول دون مقاطعتها في المدارس (سعد الله ج6، 1998، صفحة 330).

ولعل الهدف من ذلك ليس الكشف عن أهمية التعليم الفرنسي في النمو الحضاري للمجتمع الجزائري بقدر ما كان الهدف منه هو فرنسة التعليم في الجزائر،والذي يعنى بمحاربة الثقافة العربية إلى جانب نشر التعليم الفرنسي واعتبار اللغة الفرنسية لغة أساسية، وكل هذا من شانه تشويه تاريخ الجزائر وثقافة المجتمع الجزائري وانتمائه العربي الإسلامي (حلوش، 2010، صفحة 66).

ولما كانت الإدارة الاستعمارية قد ركزت على مسألة التعليم في الجزائر ، وضرورة إشراك اللغة الفرنسية في المنظومة التعليمية الجزائرية ، فقد نتج عن عملية التعليم العربي والفرنسي نوعين من المتعلمين: النوع الأول هم الطلبة المتعلمون والمثقفون ثقافة فرنسية، والنوع الثاني هم الطلبة المتعلمون والمثقفون ثقافة عربية، الذين زاولوا تعليمهم في المدارس العربية الحرة (بلاح، 2013، صفحة 7).

وفي ظل هذا الزخم الذي أحاط بالتعليم في الجزائر المستعمرة، ومع مطلع القرن العشرين وحتى ثلاثينياته، ظهرت محاولات للنهوض بالتعليم العربي والدفاع عنه من خلال رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر، إلى جانب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كانت لها كلمتها في هذا الشأن، ومن منطلق شعارها " **الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا**"، دعت إلى العناية بالتعليم العربي

والحفاظ عليه، ذلك أن استقلال الأمة وحريتها منوط به، إذ لا يمكن لأمة جاهلة الحصول على حريتها ولا الحفاظ على استقلالها (تركي، 1975، صفحة 193).

وتحقيقا لذلك ركزت الجمعية على ثلاث نقاط هامة للنهوض بالتعليم في الجزائر خاصة التعليم العربي وهي: القرآن الكريم، اللغة العربية والتاريخ الإسلامي وتاريخ الجزائر، وكان ذلك للتصدي لكل محاولات التشويه والتزييف الثقافي الاستعماري، فضلا عن محاربتها للطرقية وما تنشره من بدع وخرافات من شأنها تشويه التراث العربي الإسلامي وثقافة المجتمع الجزائري (مطبقاني، 1984-1985، صفحة 83).

ولما كان نشاط جمعية العلماء المسلمين قد عُني بالمسألة التعليمية وعملية المثاقفة والنهوض بها، فقد اضطلع بهذا العمل العديد من المفكرين والمصلحين الجزائريين على رأسهم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي صنو الشيخ ابن باديس، الذي رأى في التعليم وسيلة للنهوض بالمجتمع الجزائري واجتثاثه من قاع الانحطاط والتقهقر والحفاظ على هويته الثقافية التي هي مجموع من القيم والخصائص الثقافية المشكلة للكيان بشري فردا كان أو جماعة (صياد)، وصنع مجتمع مثقف وأكثر وعيا من خلال تجاوز سياسة المثاقفة الفرنسية التي استهدفت التعليم في الجزائر، بل وخلق جيل مثقف ثقافة عربية إسلامية يكون مغاير تماما للمثقف الجزائري الذي صنعه الفكر الفرنسي من خلال المدرسة الفرنسية التي تهدف لخلق مسلمين مثقفين قادرين على جر مجموع الأهالي نحو قبول التواجد الفرنسي بالجزائر(Kharchi, 2004, p. 274) ،ولأجل ذلك ركز على عدة نقاط هامة في مجال التربية والتعليم لأجل تحقيق مشروعه المجتمعي، وتتمثل هذه النقاط فيما يلي:

1-الاهتمام بالعملية التعليمية التربوية ومحتواها:

لإنجاح مشروعه المجتمعي ركز الشيخ الإبراهيمي على العملية التعليمية والتربوية باعتبارها الوسيلة المثلى لإصلاح المجتمع الجزائري بعد محاولات الطمس الهوياتي والتهويد الثقافي اللذان مارسهما الاستعمار الفرنسي في حق الثقافة العربية الإسلامية الجزائرية عامة، ولما كان الإبراهيمي أحد أقطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فقد ارتبط نشاطه في ميدان التعليم بنشاط هذه الأخيرة ومحاولاتها للنهوض بالمنظومة التعليمية في الجزائر، من خلال توفير كل الإمكانيات اللازمة لذلك وهو ماعبر عنه الإبراهيمي بقوله: **" كذلك سعت الجمعية إلى إصلاح أساليب التعليم،**

فقضت في تعليمها بقسميه المكتبي والمسجدي على تلك الأساليب العتيقة التي كان يباشر بها التعليم" (الإبراهيمي ج1، 1997، صفحة 191).

وفي إطار استغلال التعليم لبناء مجتمع أكثر نهضة وتقدما مما كان عليه سابقا، قام دعا الإبراهيمي لضرورة العناية بالتعليم العربي الإسلامي من خلال تعليم الدين واللغة العربية والتاريخ الإسلامي ضمنه تاريخ الجزائر.

ولأن التعليم في الجزائر كان مقيدا بفعل السياسة التثقيفية الفرنسية التي أعاقت كل محاولات تعليم الجزائريين خاصة بعد منع التعليم العربي الإسلامي، فقد كانت محاولات إصلاح المنظومة التعليمية الجزائرية في بداياتها بداية محتشمة ذلك أن التعليم العربي في البداية كان مقتصرا على المرحلة الابتدائية التي كان يلقن فيها القرآن الكريم وبعض أساسيات اللغة العربية والتاريخ الإسلامي والتي هي ضمن التعليم الحافظ للشخصية الوطنية، رغم تقلص عدد المدارس الابتدائية ، وحتى مطلع القرن العشرين انطلق هذا التعليم انطلاقة متواضعة في حدود ضيقة جغرافيا وبشريا (الصلابي، د ت، الصفحات 714-715)،وقد أشار الإبراهيمي إلى هذا النوع من التعليم في حديث له عن إحدى المدارس قائلاً: **"...وشرع المعلم في تعليم الأولاد تعليما ابتدائيا بسيطا ليس فيه كيفية تحطيم الذرة، ولا كيفية تحضير القنبلة الذرية، وإنما هو تعليم لأشكال الحروف العربية وتركيب الكلمات منها...."** (الإبراهيمي ج3، 1997، صفحة 225).

وانطلاقا من شعار جمعية العلماء المسلمين **"الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا"**، ووعيا منه بأهمية اللغة العربية في العملية التعليمية، راهن الإبراهيمي على دور هذه الأخيرة في النهوض بالمجتمع الجزائري ذلك أنها جزء لا يتجزأ من ثقافته وانتمائه ، يقول عنها: **" اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة، ولا دخيلة بل هي في دارها وبين حماتها و أنصارها، وهي ممتدة الجذور مع الماضي، مشتدة الأواصر مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل"** (الإبراهيمي ج3، 1997، صفحة 206).

ولأن تكوين المجتمع يقتضي أولا بناءً للذات الجماعية القائمة على الإسلام والعروبة، وهو ما يعتبره الإبراهيمي أساسيا لتحقيق مشروع المجتمع الذي نظر له، فالإسلام مقرون بالعروبة وكذلك هذه

الأخيرة لا تنفصل عن الإسلام، فاللغة العربية هي وعاء العقيدة الإسلامية، والفكر الإسلامي (ذوادي، د ت، صفحة 49)، وهما متلازمان وضروريان لبناء مجتمع جزائري عربي مسلم وذلك بتأصيلهما وتثبيتهما في كل فرد من أفراد المجتمع، وذلك فرصة للقضاء على كل محاولات خلق مجتمع فرنسي غربي.

كذلك فإن على الرغم من أن الجزائريين خلال مرحلة التعليم الابتدائي تلقوا تعليماً سطحيا، اعتمد على تعليم القرآن الكريم وقواعد اللغة العربية، إلا أن في تعليم الدين للجزائريين فرصة لخلق مجتمع متدين ومتحد وهو ما تجسد في برنامج جمعية العلماء المسلمين لإحياء العربية والدين ونشرهما بين أفراد الأمة، حماية وحفاظا على أخلاقها وثقافتها الإسلامية من مهاوي السقوط والاضمحلال (المدني، 1931، صفحة 308)، وتأسيسا لذلك نستحضر نصا للشيخ الإبراهيمي يجمع فيه بين مقومات الوحدة التي لابد أن تتوفر عليها الأمة الجزائرية، وقبل ذلك هي مقومات لابد من وجودها في المجتمع الجزائري ، يقول:" **أيها الأخوة الكرام: إن هذه الأمة الجزائرية أمة واحدة ولا كلام، ربها الله وإمامها القرآن ونبيها محمد ولغتها العربية ودينها الإسلام....**" (الإبراهيمي ج1، 1997، صفحة 139).

حقيقة أن الدين واللغة كمتلازمتان ضروريتان لتحقيق البناء المجتمعي، نابعة من كون الإسلام واللغة العربية ليسا جديدان ولا غريبان على المجتمع الجزائري، فهما موجودان منذ الأزل وراسخان في ماضي الجزائر وأساس لتكون ووجود الأمة الجزائرية،فالمعروف تاريخيا أن القطر الجزائري عاش منذ الفتح الإسلامي فخوراً بقوميته العربية متمسكا بالدين الإسلامي الحنيف (عاشوراكس، 2009، صفحة 115)، وقد اعتمدهما الشيخ الإبراهيمي كمعيارين متلازمين وأساسيين لبناء المجتمع من خلال إدراجهما ضمن العملية التعليمية ، التي كانت في وقت سابق مثبطة جراء السياسة التعليمية الفرنسية التي استهدفت الدين واللغة معا "**.....محو الإسلام لأن فيه من القوة ما يستطيع به أن يسود العالم،.....ومحو اللغة العربية والعروبة لأنها دعامة الإسلام...**" (الإبراهيمي ج5، 1997، صفحة 151) ، وذلك بهدف خلق مجتمع مفكك اجتماعيا وثقافيا.

وبالتالي فإن أول خطوة نحو تحقيق مشروع المجتمع هو إدراج الدين واللغة العربية ضمن المنظومة التعليمية الإصلاحية، وذلك لإعادة غرسهما في عقول وأذهان الجزائريين وأحياءا لهما.

لم تتوقف جهود الإبراهيمي عند هذا الحد فحسب ، وإنما استمر في عملية بعث التعليم وإحيائه من خلال العناية بالعملية التعليمية من خلال تقديم برامج تعليمية تواكب واقع وذهنية الجزائريين من جهة ، ومن شأنها النهوض بالتعليم العربي الإسلامي من جهة أخرى.

وتحقيقا لذلك عمد إلى وضع منهج تعليمي واحد وذلك لتفادي الأخطاء والهفوات التي قد يقع فيها المعلمون وحتى المتعلمين، ولأجل إقامة نموذج تعليمي ملائم للفرد والمجتمع معا، ويحقق تطلعات الأجيال (معزوزن، 2019، صفحة 158)، إذ يقول: **" إن الذبذبة التي شهدنا آثارها السيئة في هذا الجيل الذي نحن في آخره، معظم السبب فيها آت من قارئيه ومتعلميه، فهم على تفاهة معلوماتهم وقلة محصولهم من المعرفة، لا يرجعون إلى أصل واحد في التعليم، ولا إلى منهج واحد في التربية، وإذا اختلفت الأصول والمناهج في أمة واحدة كانت كلها فاسدة، لأن الصالح كالحق لا يتعدد ولا يختلف"** (الإبراهيمي ج2، 1997، صفحة 111).

هذا ولم يغفل عن ضرورة إعداد برامج تعليمية تلائم المتعلمين والقراء ، وتحقق أهداف العملية التعليمية التربوية، فنجاح هذه البرامج في تحقيق تطلعات وأهداف التعليم هو نجاح للسياسة التعليمية ، وفشلها يعني فشل كامل للمنظومة التعليمية التربوية، لذلك وجب رسم سياسة تعليمية قائمة على أساليب ومناهج وبرامج موحدة و هادفة التي هي من دواعي النهضة العلمية وقصد تربية النشء والجيل على طابع ولسان وتفكير موحد (ترشاق، 2020، صفحة 353)، وهو ما أوضحه في حديثه عن البرامج التي قدمها والتي تهدف إلى إعانة المعلمين والمتعلمين معا، يقول في هذا الشأن: **"إن هذا البرنامج الذي أضعه بين أيدي أبنائي المعلمين، والبرنامج الذي وضعته للتعليم التجهيزي، والذي وضعته لتعليم البنت المسلمة، كلها مرشدة لهم على أحسن الطرائق في التعليم، ومعينة لهم على تنسيق المسائل في هذا الوقت الذي تعثرت فيه الكتب"** (الإبراهيمي ج2، 1997، صفحة 110).

كما أن العملية التعليمية التربوية مرهونة بجودة البرامج التعليمية التربوية المقدمة وتوحيد هذه البرامج هو توحيد للتعليم والتربية لتحقيق أقصى استفادة منها وتجنب أي أخطاء من شأنها الإخلال بالفكر التربوي التعليمي ، يقول: **"وليتبينوا أن الغاية من توحيد البرامج هو توحيد التعليم والتربية حتى ينشأ هذا الجيل مطبوعاً بطابع واحد في لسانه وبيانه وقلمه وفي تفكيره ومشربه، وفي آرائه في الحياة ونظرته إليها وأحكامه عليها"** (الإبراهيمي ج2، 1997، صفحة 111).

ولما كانت العملية التعليمية التربوية منوطة بمجموعة من الأهداف التي تتعلق بالمتعلم والتعليم معاً، فقد كان لزاما ربط هذا الأخيرة ليس فحسب بالمناهج والبرامج الدراسية المقدمة من قبل الهيئات والمؤسسات المسئولة عن ذلك، وإنما لابد من العناية بمسألة أخلقة التعليم والتربية، ذلك أن الفرد الصالح هو ثمرة التعليم الهادف والتربية الخلقية الجادة، فمتى ما كان الفرد على قدر من العلم والأخلاق كان صالحا بل وساهم ذلك في بناء مجتمع صالح ومتخلق،كما أن حاجة الأمة إلى رجال أقوياء في دينهم وأخلاقهم وسلوكهم العام أحوج منها إلى علماء ضعفاء الإيمان والأخلاق (فراج، 2019، صفحة 9).

وهو ما ينشده الإبراهيمي من وراء العملية التعليمية التربوية التي لابد أن تربط المنهاج التعليمي التربوي بالمحيط الخارجي للمتعلم ، وجعله يكتسب صفات ومهارات اجتماعية وأخلاق خارج نطاق المنهاج المقدم،فالعملية التعليمية التربوية حسبه ليست مرتبطة بالبرامج التعليمية المقدمة للمتعلم فحسب وإنما لابد من السعي لتغيير سلوكيات المتعلم من خلال العمل الدءوب القائم على ربط العملية التعليمية بالمحيط الاجتماعي،ذلك أن التربية عملية اجتماعية وأن الأطفال يتأثرون بكل شيء في المجتمع ويتشربون مختلف أنواع السلوك (بريك، 2018، صفحة 142) ،يقول في هذا السياق: " **أعيذكم بالله يا أبنائي المعلمين أن لا تجعلوا كل اعتمادكم في تربية الصغار للرجولة على البرامج والكتب، فإن النظم الآلية لا تبني عالماً ولا تكون أمة ولا تجدد حياة و إنما هي ضوابط وأعلام ترشد إلى الغاية، وتعين على الوصول إليها من طريق قاصد وعلى نهج سوي**" (الإبراهيمي ج2، 1997، صفحة 111).

2-العناية بالمعلم والمتعلم:

لما كان المعلم هو المؤدب والمرشد والقائم على العملية التعليمية التربوية، فقد خصه محمد البشير الإبراهيمي باهتمام من منطلق دوره البارز في صنع جيل متعلم مثقف حامل لمشعل البناء والتشييد،بل وكان اهتمامه به رداً على السياسة التثقيفية الفرنسية التي جعلت من المعلم وسيلة للغزو الفكري والثقافي وتحقيق غاياتها وأهدافها، أين شوهت صورته وقلدته مختلف الصفات من مبشر ومنصر وغيرها،من منطلق تشجيع تنصير الجزائريين بواسطة الأعمال التربوية وإقامة المدارس لتعليم الصغار عنيت بها جمعيات تنصيرية ومنصرون (بلاح، 2006، صفحة 153)،وكان المعلم أقرب إلى

الأهالي مثله مثل الطبيب والمبشر،ويقدم لنا الابراهيمي توصيفاً دقيقاً له في تلكم الفترة يقول: **"....وجاءت –فرنسا- بالمعلم الاستعماري ليفسد على أبناء المسلمين عقولهم، ويلقي الاضطراب في أفكارهم، ويَستنزِلَهُمْ عن لغتهم وآدابهم، ويشوه لهم تاريخهم، ويقلل سلفهم في أعينهم، ويُزهِدهم في دينهم ونبيهم"** (الإبراهيمي ج3، 1997، صفحة 96).

ومما يؤكد على اهتمام الإبراهيمي بالمعلم، هو أن هذا الأخير جوهر العملية التعليمية التربوية وعلى أساسه يتوقف نجاحها، ومدى إمكانية صناعة جيل متعلم ومثقف صالح، ذلك أن المتعلم بقدر ما يأخذ عن معلمه العلم كذلك يأخذ عنه سلوكه وصفاته وهو ما نبه وأكد عليه شيخنا الإبراهيمي في قوله:**"ثم احرصوا على أن يكون ما تلقنونه لتلامذتكم من الأقوال، منطبقا على ما يرونه ويشهدونه منكم من الأعمال، فإن الناشئ الصغير مرهف الحس....فإذا زينتم له الصدق فكونوا صادقين، وإذا حسنتم له الصبر فكونوا مع الصابرين...ألا إن رأس مال التلميذ هو ما يأخذه عنكم من الأخلاق الصالحة بالقدوة وأما ما يأخذه عنكم بالتلقين من العلم والمعرفة فهو ربح وفائدة"** (الإبراهيمي ج3، 1997، صفحة 264)

لقد كان المعلم نقطة هامة وبارزة في كتابات الإبراهيمي، ذلك أنه يمثل أحد الركائز التي يبنى عليها النسق الاجتماعي، الحامل لكل ميزات وصفات المجتمع الجزائري الذي نظر له الإبراهيمي من تدين وعروبة ووحدة وغيرها، لهذا حرصنا على استحضار ما حملته نصوص وكتابات الإبراهيمي بخصوص المعلم والمتعلم، ذلك أن النص الإبراهيمي يقدم لنا فكرا غنيا وخصبا بشأن المعلم ودوره في عملية البناء المجتمعي.

ففي حديثه عن المعلمين ومهامهم التربوية التعليمية ودور ذلك في صناعة النشأ وبناء المجتمع ذكر الإبراهيمي أن المعلم بمثابة الملك ورعيته هم أبناء الأمة، ومهمته مرتبطة بإدارة نفوس الشباب على الدين واللغة العربية وإرشادهم إرشاداً صحيحاً للفضيلة والخلق القويم وعلى حب المعرفة (الإبراهيمي ج3، 1997، صفحة 264) فيقول مخاطباً إياهم: **" ها أنتم تربعتم من مدارسكم عروش الممالك، رعاياها أبناء الأمة و أفلاذ أكبادها، تديرون نفوسهم على الدين وحقائقه، وألسنتهم على اللسان العربي ودقائقه، وتسكبون في آذانهم نغمات العربية.... وتدبرون أرواحهم بالفضيلة والخلق المتين"** (الإبراهيمي ج3، 1997، صفحة 264).

ويضيف أيضا متحدثا عن المعلم وقدسية مكانته لدى المجتمع من خلال ما يقدمه من معارف وعلم وتصحيح للسلوك وغرس للقيم والآداب، حريصاً على أن يكون مؤدياً لعمله على أكمل وجه مجتهداً في ذلك، حيث يكون مجاهداً وحاملاً للواء التنوير للناشئة ومواكباً لكل مُستجد (بن زينب، 2017، صفحة 141)

هذا ويؤكد في إطار العملية التعليمية التربوية، أن يحرص المعلمون على التربية كل الحرص وأن يجعلوها نصب أعينهم ، فما حال شباب اليوم ليس إخفاقا في تعليمهم وإنما نقص في تربيتهم وأخلاقهم، يقول: **" احرصوا كل الحرص على أن تكون التربية قبل التعليم، واجعلوا الحقيقة الآتية نصب أعينكم، واجعلوها حاديكم في تربية هذا الجيل الصغير، وهاديكم في تكوينه، وهي أن هذا الجيل الذي أنتم منه لم تؤت في خيبته في الحياة من نقص في العلم، وإنما خاب أكثر ما خاب من نقص في الأخلاق..."** (الإبراهيمي ج3، 1997، صفحة 264).

إلى جانب حديثه عن المعلم أشار البشير الإبراهيمي أيضا إلى المتعلم باعتباره عنصرا هاما في اكتمال العملية التعليمية التربوية وفي بناء المجتمع باعتباره العنصر المثقف الفاعل في تحقق البناء المجتمعي ،وصلاح المجتمع مرهون بصلاح شبابها إذا ما تسلح بالمعرفة وتشبع بالأخلاق الفاضلة ، فالمثقفون هم خيار الأمة وسادتها وحراس عزها ومجدها (الإبراهيمي ج2، 1997، صفحة 126)، وقد خصهم الإبراهيمي بحديث مطول نستشف منه بعض المقاطع في نص له موجه لشباب الأمة يقول فيه: **" شباب الأمة هم عمادها...وخير شباب الأمة المتعلمون المثقفون، البانون لحياتهم وحياة أمتهم على العلم، وصفة الشباب المتعلم المثقف هم المتشبعون بالثقافة الإسلامية العربية والمقدمون لها، لأنهم هم الحافظون لمقوماتها، والمحافظون على مواريثها..."** (الإبراهيمي ج2، 1997، صفحة 196).

فشباب الأمة المتعلم هو سلاحها وهو جوهر وثمرة تقدمها، فكلما صلح المجتمع صلحت الأمة وما صلاحه إلا بصلاح شبانه، والشباب لا يصلح ولا تقوم له قائمة إلا بالعلم والتثقيف لذلك كان المثقفون منهم هم الطبقة الهامة في المجتمع ذلك أنهم من خلال وعيهم وثقافتهم باستطاعتهم الاختلاط بالأمة ومشاركتها شؤونها الاجتماعية، ما ينمي الثقة بينهم وبينها فهم رأس مالها (بن زينب، 2017، صفحة 140) .

فالعمل التعليمي التربوي كأسلوب وآلية لبناء مجتمع حسب الشيخ البشير الإبراهيمي ليس المراد به تتبع كيفية تكريس ذلك في إطار عملية البناء الاجتماعي فحسب وإنما أراد به الإبراهيمي الوقوف على الواقع الاجتماعي وعلى الذات الجماعية والفردية، ذلك أنه أشد معرفة بظروف مجتمعه وأفراده ومرارة ذلك ، خاصة من الناحية التثقيفية وسقوط المجتمع الجزائري في وحل الأمية والجهل والتيه والضلال الاستعماري (ضيف، 2022، صفحة 16).

ومن هنا جاء نشاط الإبراهيمي حرصاً منه للنهوض بالمجتمع الجزائري الذي أسقطه شبح الأمية ، وجعل التعليم والتربية سلاحا لمناوئة الاستعمار، وسعيه الحثيث لبناء مجتمع متعلم ومتطور يأخذ بالمعلم والمعرفة سلاحا لتكوين الذات الجماعية .

3-إقامة المدارس:

حسب البشير الإبراهيمي لا يمكن تحقيق تعليم كامل للجزائريين إلا بوجود وسيلة تضمن جمعهم في إطار منظم ومنسق يتيح ضمان التعليم بطرق سليمة وفقا للمناهج التي سطرها، وهذه الوسيلة تكمن في المدارس التي من شأنها احتضان العربية والدين والعمل على صقل العقل والفكر وتهذب السلوك، فهو يرى بأن المدرسة **" السبيل القويم الذي يؤدي إلى حفظ الجيل الجديد من هذه الشرور المتوارثة، وإلى توثيق عرى التو افق بين أفراده...وإلى تصحيح فهمه للحياة، هو المدرسة العربية التي تصقل الفكر والعقل واللسان..وتوجيه الناشئ إلى الإسلام والعرب..."** (الإبراهيمي ج3، 1997، صفحة 264).

ولعل اهتمامه الكبير بالمدارسة نابع من نظرة واقعية لحالة المنظومة التعليمية في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي من جهة، واجتماعية المؤسسة التعليمية ذلك أنها حاضنة الفرد ومصنع المثقف العالم العارف بشؤون مجتمعه،فقد ركز على مسألة المدارس وضرورة إعادة بنائها والعناية بها نظرا لقلة المدارس التي تعنى بتعليم اللغة العربية والدين، وفي وقت كانت فيه المدرسة متقطعة جغرافيا ومتباينة لغويا ودون هيئة من المعلمين المتخصصين (F.Colonna, 1972, p. 131) ، ما جعلها أداة للهيمنة الثقافية الفكرية وفيها تصنع فرنسا جيلا من المثقفين المنحلين فكريا وأخلاقيا،

ويعـزى لـه الفضـل في حركـة البنـاء وتشـييد المـدارس التي اضـطلعت بهـا جمعيـة العلمـاء المسـلمين الجزائـريين وقـد صـرح بـذلك بنفسـه في قولـه: " **مـا دمنـا مـن بنـاة هـذه المدرسـة، ومـن أول الـداعين إليهـا، القـائمين لحركتهـا والواضـعين لبرامجهـا والمشـرفين على كـل دقيقـة وجليلـة فيهـا، والمعرضِـين للـبلاء في سـبيلها –ففينـا مـن الجـرأة –مـا يـدفعنا إلى الجـواب عـن هـذا السـؤال. الغايـة مـن المدرسـة هي تربية هذا الجيل وتعليمه**" (الإبراهيمي ج3، 1997، صفحة 275).

هـذا إلى جانـب اشـتغاله وحرصـه على إقامـة المـدارس فقـد كـان يعتـد بهـا كثيرا فهي "**حيـاة الأمـة في هـذا العصـر**"، كمـا أن البنـاء المدرسـي هـو بنـاء للمنفعـة الدينيـة والدنيويـة واسـتجابة للمتغيـرات الاجتماعيـة وتحـديات الواقـع وكيفيـة التعامـل معـه بصـورة إيجابيـة وهـو مـا سـعت إليـه جمعيـة العلمـاء المسـلمين الجزائـريين والشـيخ الإبراهيمي مـن خـلال إقامـة المـدارس الحـرة (بوجمعـة، 2016، الصـفحات 489-491).

فإيمانـه الراسـخ والقـوي بأهميـة المدرسـة في صـناعة جيـل صـالح ومجتمـع مـتعلم ، دفعـه إلى تأسـيس المـدارس الحـرة التي وضـع لهـا برنامجـا قـاراً ، ومـن هـذه المـدارس مدرسـة تلمسـان التي شـيدت سـنة 1937م التي كـان لهـا الفضـل في إعـداد الـنشء وتربيتـه وإحيـاء اللغـة العربيـة ونشـر الثقافـة والتصـدي لكل محاولات التغريب والتشويه الثقافي الاستعماري (فراج، 2019، صفحة 15).

كمـا ويؤكـد على ضـرورة المدرسـة في الحفـاظ على خلـق الطفـل ودينـه وفي بنـاء شخصـيته، وغـرس قسـم الفضـيلة فيـه، فـلا سـبيل لطريـق صـلاح المجتمـع إلا مـن خـلال المدرسـة التي فيهـا لـب الخير والنفـع وارتـواء العقـل والـروح، فمتى مـا كـان المحـيط فاسـدا هنـاك مدرسـة مـن شـأنها إصـلاح مـا أفسـده الشـارع وصناعة جيل يحمل كل صفات الصلاح (بريك، 2018، صفحة 141).

المبحث الثاني: العمل الجمعوي الإرشادي

شـكل النشـاط الجمعـوي والإرشـادي الـذي تبنـاه الشـيخ الإبراهيمي وسـيلة فعالـة نحـو بنـاء مجتمـع متماسـك مـن شـتى الجوانـب والنـواحي، ذلـك أنـه جـاء في ظـرف اسـتعماري اسـتفحلت فيـه كـل أشـكال

الضلال من بدع وخرافات إلى جانب العديد من الآفات والمشاكل الاجتماعية، التي استدعت القيام بعمل موحد يجمع بين الإصلاح والإرشاد في إطار مؤسساتي منظم.

والعمل الجمعوي في الجزائر بداية القرن العشرين اقترن بالحركة الإصلاحية ثم نمى أكثر مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تبنت هذا النشاط لبث أفكارها التنويرية والإصلاحية في أوساط المجتمع الجزائري، وهو الأمر الذي اضطلع به شيخنا البشير الإبراهيمي في إطار تحقيق مشروعه المجتمعي.

1-العناية بالجمعيات والنوادي:

خلال عشرينات القرن الماضي ظهرت في الجزائر العديد من الجمعيات والنوادي والتي رافقت ظهور الأحزاب ومختلف التشكيلات السياسية خلال تلكم الفترة، ومن أبرزها جمعية الشبيبة الإسلامية ونادي الترقي، وجمعية التربية والتعليم في قسنطينة ونادي السعادة في تلمسان، وقد شهدت قسنطينة وحدها ميلاد 26 جمعية قبل الحرب العالمية الثانية (سعد الله ج5، 1998، صفحة 315).

والجدير بالذكر أن الجمعيات التي كانت نشطة في تلكم الفترة سرعان ما قل نشاطها جراء التضييق الفرنسي عليها إلى جانب نفي الشيخ الإبراهيمي سنة 1940 إلى مدينة آفلو وتقف نشاطه الإصلاحي، لكنه سرعان ما عاد إلى مواصلة نشاطه بعد قرار الإفراج عنه في 29 ديسمبر 1942، أين قام بزيارات لمقرات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وإحياء نشاطها،وخلال تواجده بالغرب الجزائري، كانت قد تشكلت عدة جمعيات دينية منها، الجمعية الدينية الإسلامية بفرندة في ضواحي تيارت، وأخرى بتلمسان إلى جانب تأسيس جمعية التربية والتعليم في مارس1944م (أوعامري، 2021، الصفحات 12-13).

وفي إطار تحقيق مشروعه المجتمعي، راهن البشير الإبراهيمي على أهمية النوادي في بناء المجتمع وإصلاح الشباب الجزائري اللذين هم أساس رقي المجتمع وصلاحه ، وفي نشر الثقافة في أوساطهم وتفعيل دروس الوعظ والإرشاد فيها بما يعود بالنفع عليهم، هذا ويرى فيها نموذجا للمدارس ذلك أنها تؤدي وظيفتها في التربية والتهذيب، ولأن فئات المجتمع ثلاث الصغار والكبار والشباب فإن هذه الفئة الأخيرة حسبه تتخطفهم الأزقة وأماكن الفجور، ولعل النوادي أصلح مكان لهم لتهذيب نفوسهم

وغـرس قـيم الفضـيلة ومحاسـن الأخـلاق فـيهم مـن خـلال دروس الـوعظ والإرشـاد التي تقـدمها (مغـازي، د ت، صفحة 11).

وكـان مـن أبـرز هـذه النـوادي نـادي الترقي، ونـادي الشـبيبة الإسـلامية الـذي تأسـس سـنة 1355هـ-1936م، و كـان أمـدادا ومعونـة لنـادي الترقي علـى العمـل الصـالح النـافع لتهـذيب الأخـلاق والتعـارف والتآلف (الزواوي، 1936، صفحة 8).

2-خطابات الوعظ والإرشاد:

لقـد كـان البشـير الإبراهيمي في طلائـع الرجـال المصـلحين الـذي ناضـل بكـل ألمعيـة مـن أجـل النهـوض بـالمجتمع الجزائـري واجتثـاث أبنائـه مـن وحـل الفسـاد والتيـه الاسـتعماري ، مـن خـلال ماقدمـه مـن خطابـات رنانـة لامسـت عقـول و أرواح الجزائـريين ، وأثـارت حفيظـة الإدارة الفرنسـية التي كانـت تـروم إبـادتهم وتفريـغ مـن بقـي مـنهم مـن انتمـائهم ووطنيـتهم، فـراح يضـع خطـة للإحيـاء الشـامل للمجتمـع الجزائري وفي شتى الجوانب.

سـعيا منـه لإرشـاد ونصح أبنـاء وطنـه وإصـلاحهم، سـارع الإبراهيمي في إلقـاء الخطـب وعقـد النـدوات في جمعيـات ونـوادي جمعيـة العلمـاء المسـلمين الجزائـريين، كمـا هـو الحـال في مدينـة سـطيف أيـن باشـر إلقـاء الـدروس الدينيـة ووعـظ الشـباب عبر محاضـرات علميـة وتاريخيـة إلى إلقـاء الخطـب على المـواطنين في القرى والنوادي (رمضاني وحيمور، 2021، صفحة 52).

هـذا وقـد تمحـورت خطابـات الشـيخ الإبراهيمي التي كـان يلقيهـا في مختلـف جمعيـات ونـوادي جمعيـة العلمـاء حـول قضـايا المجتمـع الجزائـري خاصـة الاجتماعيـة منهـا والثقافيـة، أيـن عبر فيهـا عـن سـخطه إزاء محـاولات فرنسـا المسـتمرة والمسـتهدفة للـدين واللغـة والثقافـة العربيـة الإسـلامية التي غادرتهـا الصـحة والسـلامة وأعاقـت الأمـراض سـبيلها في الظهـور والتميز وحريـة الممارسـة، هـذا وكانـت خطاباتـه لإبـراز تلـك الفـوارق والاختلافـات بـين الثقـافتين الجزائريـة بأبعادهـا العربيـة الإسـلامية وثقافـة المسـتعمر بأبعادهـا الغربية المسيحية (ترشاق، 2020، صفحة 355).

كمـا وركـز وشـدد أيضـا على الجانـب الإصـلاحي في خطاباتـه وارتبـاط هـذا الأخير بالإصـلاح الاجتمـاعي، فصـلاح المـرء دينيـا مرهـون ومـرتبط بصـلاحه الاجتمـاعي ونحـن نعني هنـا نضـجه عقليـا وفكريـا وتأدبـه

وفهمه للحياة ولواجباته وعلاقاته الاجتماعية وهو ما تروم جمعية العلماء الاهتمام به وهو ما أشار إليه في خطبة له خلال الاجتماع الأول لها والتي قال فيها: " **والحقيقة أن الجمعية تعمل من أول يوم من تكوينها للإصلاح الديني وللإصلاح الاجتماعي، وكل ذلك يسع الإسلام...فالإسلام دين اجتماع...وإن الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي...وأن المسلم لا يكون مسلما حقيقيا مستقيما في دينه حتى تستقيم اجتماعياته فيحسن إدراكه للأشياء وفهمه لمعنى الحياة... وينضج عقله وتفكيره...**" (الإبراهيمي م.، 1936، صفحة 6).

وفي ذات السياق مضى الإبراهيمي في إرشاد أبناء وطنه وإصلاح دينهم وعقيدتهم من خلال توجيههم توجيها علميا سليما قائما على تلقي علوم الدين واللغة العربية، قادرا على الدفاع عن وطنه وهو ما عبر عنه في خطاب له للمعلمين الأحرار يقول فيه: "**ها أنتم تبو أتم من مدارسكم ميادين جهاد، فاحرصوا على أن يكون كل واحد منكم بطل ميدان، وها أنتم هؤلاء خلفتم مرابطة الثغور من سلفكم الذين حملوا الدين والدنيا، ووقفوا أنفسهم لإحدى خطتين: الدفاع المجيد، أو الموت الشهيد...**" (الإبراهيمي ج3، 1997، صفحة 262).

ولعل في إصلاح المجتمع من خلال الخطاب الإبراهيمي الإرشادي ما دفعه للغوص في أعماق المجتمع وسبر قضاياه والعمل على كشف مواطن الضرر الذي أصابه جراء ممارسات المستعمر الدنس، والعمل على فتح وتنوير أذهان الجزائريين والنهوض بالمجتمع الجزائري من خلال حماية مقوماته وثوابته الوطنية والتي منها التاريخ باعتباره الذاكرة الجماعية التي تستدعي الحفاظ عليها للاستمرار حاضراً والرقي مستقبلاً،فالوعي بأهميته دافع من دوافع الوحدة والبقاء وسلامة الذات (ترشاق، 2020، صفحة 351) ، وفي هذا السياق يتحدث الإبراهيمي عن محاولات المستعمر لتشويه تاريخ الجزائر واحتقاره بل وإنكار أن للأمة الجزائرية تاريخاً قائلاً: " **إن القوم يحتقرون حاضرنا الذي أوصلونا إليه، ويعتقدون أننا صبيان، فيتذكرون ماضيهم ليبنوا عليه حاضرهم ومستقبلهم، وينكرون علينا ذلك....وإنهم يذكرون أبناءنا المتأثرين بعلومهم وصناعتهم بذلك،ويأتون بما يملأ عقولهم ونفوسهم حتى لا يبقى فيها متسع لذكريات ماضينا وأسلافنا....**" (الإبراهيمي ج2، 1997، صفحة 468).

ولأن مشروع الإبراهيمي بخصوص المجتمع بني على أبعاد عدة منها البعد الاجتماعي الذي يقتضي القيام بإصلاح المجتمع والوقوف على المشكلات الاجتماعية والنهوض بالفرد والعناية بالأسرة التي هي قوام ونواة المجتمع، فإن ذلك لا يتأتى إلا من خلال القيام بثورة ضد القوانين الفرنسية التعسفية والقضاء على ممارساته المدنسة، وتجسيدا لذلك أخذ البشير الإبراهيمي في التعريف بالقضية الجزائرية في الأوساط المشرقية وهو ما عبرت عنه مشاركته في اجتماع اللجنة السياسية للجامعة العربية ، أين طالب هذه الأخيرة أن تولي قضية بلاده وشعبه عناية خاصة (قندل، 2014، صفحة 355).

ومع اندلاع الثورة التحريرية، أشار إليها في خطاباته وهو بالخارج و التي دعا فيها الشباب الجزائري للالتحاق بركبها وأعرب عن دعمه الكامل لها وهو ما أوضحه البيان الذي أصدره وأذاعه عبر صوت العرب بتاريخ 15 نوفمبر 1954م الذي حمل عنوان **" نداء إلى الشعب الجزائري المجاهد"** الذي دعا فيه إلى الاستماتة في الجهاد وعدم التراجع عنه مؤكدا على أحقية الشعب الجزائري في نيل استقلاله (مقلاتي و بوجمعة، 2016، صفحة 167).

وعلى حد تعبير نجله أحمد طالب الإبراهيمي فإن هذا البيان بمثابة دعم للمجاهدين، بل ونفخ الروح في الثورة فقد ساهم في إخراج الشعب الجزائري من التردد والحيرة كونه كان جاهلا بمصدرها، وتوجهها، وساهمت في تقبله لها بسرعة وأيضا جواز سفر للمسئولين عنها إلى قادة الدول العربية ، فالإبراهيمي من خلال بيانه قدم للشعب الجزائري شهادة بينة وواضحة على شرعية العمل الثوري وصحته (الإبراهيمي ج5، 1997، صفحة 21).

وهو ما من شأنه أن يعزز في نفوسهم ذلك الشعور بضرورة التغيير والثورة على النظم الاجتماعية الفرنسية الفاسدة التي قيدتهم ومجتمعهم والمضي لتحريره ووطنهم وبناء نسق مجتمعاتي جديد في ظل الحرية.

تواصل النشاط الإصلاحي للإبراهيمي في سبيل تحقيق مشروعه المجتمعي من على منبر الخطابة ، موجها نقده اللاذع للمستعمر، ومستفزاً إياه بخطبه ومحاضراته المستمرة عبر جمعيات ومدارس ونوادي جمعية العلماء المسلمين، هذه الأخيرة التي لها كل الفضل في إصلاح المجتمع الجزائري، وقد أفرد لها جزءاً ضمن محاضرة له بعنوان" **مشكلة العروبة في الجزائر**" التي ألقاها بمنزل الأستاذ محمد مفيد الشوباشي بالقاهرة بتاريخ 5جوان1955 (الإبراهيمي، 2007، صفحة 107) ، ومما جاء فيها: "

والاستعماريرى في مبدأ جمعية العلماء ...خطراً كل الخطر على سلطانه"، ويضيف أيضاً: **" بدأت جمعية العلماء أعمالها بالاتصال بالأمة عن طريق الدروس الدينية، والمحاضرات الاجتماعية والتاريخية...وكان التأثير بليغاً، وكان التأثر عظيماً،...وتغلغل الإصلاح الديني في جميع الطبقات..."** **(الإبراهيمي م.، 2007، صفحة 114)**.

إن جل ما قدمه الإبراهيمي في خطاباته من وعظ وإرشاد إنما كان موجها إلى الجزائريين خاصة ولتنبيه المستعمر إلى حقيقة مفادها أنه مهما عمل ومهما اشتدت سياسته الرامية لوأد الجزائريين والقضاء على ثقافتهم وقيمهم، إلا أن منهم رجالاً صالحين ثابتين على المبدأ مستمرين في الدفاع عن أرضهم وعرضهم، كذلك تضمنت خطاباته كشفاً وجهراً بحقيقة الاستعمار هذا الأخير الذي وقف للإسلام بالمرصاد من أول يوم وانتهك حرماته،وضيق على شعائره **(حمودي، 2017، صفحة 287)**.

والحقيقة أن خطابات الشيخ الإبراهيمي على قدر ما هي خطابات رنانة هادفة تلامس الذات الجماعية على قدر ما هي أيضا خطابات مبنية على إستراتيجية دقيقة تلامس الواقع العام للمجتمع الجزائري من جهة ، وتهدف إلى تحقيق نوع من التعبئة الجماهيرية بحقيقة الاستعمار وضرورة النهوض بالمجتمع من جهة أخرى، فهي تساعد على إدراك الموقف العام والسياق الخاص ومعرفة سيكولوجية الجماهير، كما كانت معبرة عن توجه قيادي في تسيير وتوجيه وتحفيز أبناء الشعب على التعاون **(بولفعة، 2022، الصفحات 418-419)**.

إن نظرة فاحصة لخطابات الإبراهيمي وجهوده الإرشادية ومضامينها، تعبر عن جهد وعمل كبيرين في سبيل اجتثاث المجتمع من قاع الهيمنة الاستعمارية وظلال الطرقية طيلة قرن ونصف من الزمن ، وإن قاربنا فترة ظهور الإبراهيمي ونشاطه وظهور جمعية العلماء المسلمين، نلحظ أن نشاطه الجمعوي والإرشادي في سبيل بناء المجتمع باتخاذ الخطابة أسلوباً لذلك قد تزامن والانتشار الواسع للنوادي والجمعيات التي أسستها جمعية العلماء، والتي ما كانت لتقوم بنشاطها لولا جهود الإبراهيمي المتواصلة رغم مضايقات المستعمر المستمرة له، إلا أنه واصل مهمته لبعث المجتمع الجزائري من جديد باتخاذ الجماهير التي تتلقى محاضراته وخطبه وسيلة فعالة ومثلى لتحقيق مشروعه، ذلك أن فئة الشباب الذين تغلغل الإصلاح في نفوسهم واستقرت أفكار الإبراهيمي في عقولهم، جعلت منهم

المشعل الذي عُهد إليه بإشعال فتيل الثورة في وقت كان لابد من ذلك لتحقيق البناء المجتمعي الذي نظر له الإبراهيمي.

المبحث الثالث: العمل الإعلامي.

الفكر الإبراهيمي فكر غزير وواسع، وهو الأمر الذي يفسر لنا اضطلاعه بالعديد من النشاطات على غرار النشاط الإعلامي، الذي اتخذه وسيلة فعالة لتحقيق مشروع المجتمع الذي دعا إليه بما لا يدع مجالاً للشك أن الصحافة بقدر ما كانت وسيلة لتنوير العقول ونقل الأخبار وتصوير واقع المجتمع الجزائري في ظل الاستعمار الفرنسي، كانت أيضا وسيلة للبناء والتشييد من خلال غرس قيم التغيير والثورة على المبادئ الاستعمارية البالية،و كانت أيضاً أداة لإيصال الفكر الإبراهيمي لعقول الجزائريين والتأثير فيهم ، فهو يعد من بناة الصحافة العربية الحديثة في الجزائر والتي أرسى دعائمها على مبدأ التمسك بالمقومات الوطنية (بريك، 2018، صفحة 143)،و توعية الجماهير بحقيقة المستعمر وإذاعة صوت التغيير الذي دعا إليه في أوساطهم للنهوض بالمجتمع الجزائري.

وقد اتخذ الإبراهيمي من الصحافة المكتوبة والمسموعة وسيلة لذلك وهو ما سنوضحه فيما يلي:

1-النشاط الصحفي:

إن من الأهمية بمكان أن نسلط الضوء على جانب هام من جوانب النشاط الإبراهيمي في إطار تحقيق المشروع المجتمعي، هذا الأخير الذي يستدعي تحققه ملامسة كاملة لمختلف شرائح المجتمع وتوعيتها بحقيقة واقعها المرير وضرورة النهوض ونفض غبار الاستعمار والعمل على بناء ذاتها الفردية والجماعية، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال الصحافة التي كانت المنبر الذي حمل أفكار وتصورات الإبراهيمي التنويرية بخصوص المجتمع وأفراده.

هذا وكان الإبراهيمي نفسه قد أشاد بضرورة العمل الصحفي، الذي جعل منه منبراً لمحاربة الاستعمار مستعملاً أسلوبا جزلاً قادرا على التعبير بألفاظ قوية رنانة لا غموض فيها (قفاف، 2019، صفحة 47)، والتي استهدف فيها المستعمر لا غير رداً على مشروعه التهويدي الذي استهدف المجتمع الجزائري من شتى الجوانب، وعمل على فضحه وفضح سياساته من خلال ما نشره من مقالات

عديدة عبر جرائد جمعية العلماء المسلمين منها "جريدة الشهاب" و"جريدة البصائر"، هذه الأخيرة التي أصبحت بفضل الإبراهيمي مدرسة فريدة للرأي والفكر السديدين ن وكانت معبرة عن صراحة ولهجة الإبراهيمي (بريك، 2018، صفحة 143).

لقد كان أول عمل صحفي قام به البشير الإبراهيمي في إطار التعبير عن وضعية وواقعية المجتمع الجزائري المستعمر هو تحريره للعديد من المقالات التي نشرها عبر صفحات جرائد جمعية العلماء منها"جريدة الشهاب"، التي عرض فيها عدة قضايا منها ما تعلق بقضية الإصلاح ل الديني التي هي ضرورة لابد منها لبناء المجتمع مشيرا إلى أن السبيل لذلك هو التمسك بالقرآن وتعاليمه الذي يجمعهم على التقوى، مشيرا إلى أن هوان المسلمين وتدني منزلتهم ما كان ليكون لو أنهم تمسكوا به يقول:**"كيف يشقى المسلمون وعندهم القرآن؟.... فلو أنهم اتبعوا القرآن و أقاموا القرآن لما سخر منهم الزمان و أنزلهم منزلة الضعة والهوان"** (الإبراهيمي ج1، 1997، صفحة 158).

إلى جانب عدد من المقالات التي حملت عنوان "عيون البصائر"، والتي عرضها ضمن السلسلة الثانية من جريدة البصائر التي أصدرتها جمعية العلماء المسلمين سنة 1947م، والتي كانت لسان حال الاتجاه الإصلاحي الذي تبنته الجمعية، والتي تتناول عدة مواضيع سياسية اجتماعية وثقافية (حميداتو وعطا الله، 2018، صفحة 261).

وكان الإبراهيمي يثير في مقالاته قضايا عديدة ذات وقع وأثر شديد على الاستعمار خاصة وتخص المجتمع الجزائري عامة، الاجتماعية منها والثقافية كقضية فصل الدين عن الدولة والطرقية وتطهير الدين من الخرافات والبدع ، واهتمامه بالسياسة وقضايا عربية خارجية كانت جريدة البصائر قد عرضتها عبر صفحاتها (بريك، 2018، صفحة 143) ،وغيرها من القضايا التي ارتبط فيها الفكر الإبراهيمي بالواقع المعاش للجزائريين في تلكم الفترة، ومحاولته ملامسة المشاكل التي يعاني منها المجتمع الجزائري في ظل الاستعمار الفرنسي.

ومن أبرز القضايا التي تطرق إليها شيخنا في افتتاحياته بالبصائر والتي لها صلة كبيرة بمشروعه المجتمعي ماتعلق بالاستعمار وممارساته الدنيئة التي طالت المجتمع من تدنيس للدين وتفكيك لأواصر المجتمع والعبث بالتعليم ، إذ يقول في مقال بعنوان **"الجزائر"**: **"الاستعمار كله رجس من**

عمل الشيطان....يدخل في العقائد الدينية فيشوبها بشوب الشرك والضلال....ويفسد وسائل المحبة والثقة بين أفراد المجتمع، ويقضي على أسباب التماسك بين أفراد الأسرة...ويدخل في التعليم فيحرم تعليم العربية ويعاقب عليه كما يعاقب على الجرائم" (الإبراهيمي ج5، 1997، صفحة 187).

ففي هذا المقال لامس الإبراهيمي موضوعا حساسا وهو تعرض الاستعمار لثوابت الأمة ومقوماتها من دين ولغة وإلى الرابطة الاجتماعية التي سعى إلى تفكيكها وخلق مجتمع مفتت متقطع الأوصال ، موضحاً ذلك لكشف حقيقة المستعمر للجزائريين، وأن بناء المجتمع يستدعي بناء اللحمة الجماعية من جديد والحفاظ على مقوماته.

وفي موضع آخر كتب مقالا خص فيه التعليم العربي الذي خصت به جمعية العلماء المسلمين ، بالكثير من الاهتمام ذلك أنه أساس التعليم الديني الذي هو بدوره مفتاح تنوير العقول وسبيل نحو تحقيق البناء الاجتماعي الناجح القائم على القيم الدينية الحقة والتعليم السليم، كما أن اللغة العربية عامل أساسي في التماسك الاجتماعي للجزائريين فيها يتصل الفرد بمنابع الإسلام والتراث الفكري والروحي له (هواري، 2022-2023، الصفحات 203-204)،يقول فيه: **" وجمعية العلماء، التي تعد أشرف أعمالها تعليم العربية، قد أقامت خمسة عشر عاما تطالب – غي غير ملل- بحرية التعليم العربي الذي هو أساس التعليم الديني، وما زالت تصارع العوارض الحائلة، وهي عوارض القرارات الإدارية، والقوانين الموضوعة لخنق العربية وقتها، وما زالت الجمعية تنكر تلك القرارات وتقول عنها: إنها قرارات جائرة..."** (الإبراهيمي ج3، 1997، صفحة 49).

واختتمه بالدعوة إلى ضرورة تعميم التعليم العربي بقوله: **" وخلاصة رأي جمعية العلماء في التعليم العربي: أنه أصبح ضرورة من ضرورات الأمة، وأن القرارات المتعقلة به كلها ترمي إلى التضييق عليه وقتله: وأن تنفيذها موكل إلى عمال يتولونه بالغرض والهوى"** (الإبراهيمي ج3، 1997، صفحة 50)، وما هذه الدعوة إلا لإبراز مكانة التعليم العربي في أوساط المجتمع ، ودوره في صناعة نشئ متعلم صالح توكل له مهمة بناء مجتمع صالح، مغاير تماماً لتصورات الاستعمار بشأن إقامة مجتمع مفكك اجتماعيا ومحطم دينيا .

ونحن نتحدث عن كيفية بناء المجتمع كما عبر عنه الفكر الإبراهيمي ، ننوه إلى أن مقالاته في جريدة البصائر على كثرها وتعدد القضايا التي تناولتها،إلا أنها تصب في قالب واحد وهو عرض لواقع المجتمع الجزائري من جهة، وإبراز لمواطن الضرر التي ألحقها الاستعمار به وكيفية مداواة تلك الجروح والمشكلات الاجتماعية للإعادة بناء نسق اجتماعي متكامل من جهة أخرى، وأيضا تضمنت رؤيته بشأن قضايا الأمة داخليا وخارجيا، وعرضه لمشاكل المجتمعات العربية ونقد الواقع المشترك بينها (بالولي، 2018، صفحة 206).

فكل من قضية الدين واللغة العربية وقضية التعليم العربي التي ذكرناها ما هي إلا مشكلات عرضها الإبراهيمي في مقالاته مقدما في الآن نفسه حلولاً لها، وهنا نقف عند نقطة هامة سبق وأشرنا إليها أنفا وهي أن الإبراهيمي في تقديمه لمشروعه المجتمعي انطلق من أولويات لابد منها في إقامة هذا المشروع وهي تحديد المشكلة ثم اقتراح الحلول الناجعة لها، وهو ما ينطبق على مقالاته، فمثلما ارتبط بناء المجتمع في بداياته بتحديد المشكلة التي يعاني منها ورسم مخطط لكيفية حلها، كذلك قابلية تحقق هذا البناء من عدمه مرهون بمدى نجاح تشخيص هذه المشكلة وقابليتها للعلاج ، فأولى الخطوات نحو إعادة بناء النسق المجتمعي هي الاعتراف بموضع الداء والخلل، وبإدراك مسبباته لوصف العلاج المناسب له (ترشاق، 2020، صفحة 340).

ففي مقال له بخصوص تعليم المرأة التي هي جزء هام ضمن التركيب الاجتماعي أشار إلى العوائق التي تعترض تعليمها منها رفض المجتمع الجزائري لذلك بحكم العادات والتقاليد، لكن مع تشخيص هذه المشكلة التي من شأنها أن تخدم الاستعمار من جهة، وتضر بالمجتمع من جهة أخرى دعا إلى ضرورة تعليم المرأة لتكون واعية بأمور دينها وتساهم هي الأخرى في البناء الاجتماعي، فأقر بتعليمها مثلها مثل الرجل، في حدود تعاليم الدين، وضمن حقوقها وحريتها في حدود ذلك (شطة، 2015، صفحة 23).

2-النشاط الإذاعي:

إلى جانب النشاط الصحفي الذي اضطلع به الشيخ محمد البشير الإبراهيمي للتأثير في الجزائريين وإصلاحهم ولتحقيق مشروع المجتمع الذي جاء به، كذلك اتخذ من العمل الإذاعي وسيلة لتدعيم

نشاطه الإعلامي فيما يتعلق بتوعية الشعب الجزائري بوضعه وقضية بلاده، والتي هي قضية مجتمع مستعمر يطالب بالحرية وتغيير الوضع، هذا الوضع الذي حاول الإبراهيمي إبرازه والعمل على تغييره نحو حال أفضل وبناء مجتمع أكثر تماسكا وصلاحاً.

ونلمس نشاط الإبراهيمي الإعلامي من خلال الإذاعة أكثر وضوحاً خلال الثورة التحريرية ، هذا الذي لم يدخر جهداً ولم يضنه المرض ولا السن عن مهمة نصرة قضيته وأبناء شعبه، بل راح يوجه الخطابات والنداءات عبر إذاعة صوت العرب سنة 1955 التي كانت منبراً تمكن من خلالها الإبراهيمي من النفاذ إلى العقول ومخاطبة الجماهير العربية بحقيقة الثورة وواقع البلاد والعباد، وتحسيس الشعوب العربية بذلك، والمسارعة إلى دعمها، كذلك كان له تأثير بالغ على الجزائريين للالتفاف حول الثورة، ومساعدة أسر المجاهدين والشهداء (الإبراهيمي ج5، 1997، صفحة 25).

فالإذاعة مكنت الإبراهيمي من تبليغ صوته وفكره المحمل بحقيقة ماثلة أمامه هي حقيقة شعب مستعبد وثورة كان لابد لها أن تكون كعنوان للتغيير والتصدي للتعنت الاستعماري، ووسيلة لتوعية الجماهير بمن فيها الشعب الجزائري بضرورة النهوض والثورة ضد القيم والمبادئ البالية التي تنشرها فرنسا، والمراد بها إفساد العقول وتحطيم أركان المجتمع الجزائري، وأن تحقق مشروعه المجتمعي مرتبط بالمشروع الثوري الذي سيحمل معه بذور الاستقلال والحرية التي ستثمر لاشك مجتمعاً حرًا كما رسمه ونظر له.

لقد أبرزنا سلفا كيف كان عمل الإبراهيمي في المجال التعليمي والجمعوي إلى جانب العمل الإعلامي عميقا ونشطاً وأكثر شمولية ، إحساساً منه بضرورة إصلاح المجتمع وإعادة بنائه ، بتمتين التعليم العربي وإرساء مناهجه الهادفة لغرسه في نفوس وعقول الناشئة ووعيه بإعداد طلبة يحملون راية التغيير ومشعل التحرير (العايب، د ت، صفحة 193)، ورغبة منه في الحفاظ على ثوابت الأمة ومقوماتها من خلال تبني العمل الجمعوي وسيلة للتوعية والإصلاح ، بل ولم يتوانى في إيصال صوته وفكره من على منابر الإعلام "صحافة وإذاعة"، للشعب الجزائري وغيره من الشعوب وتوعيته بحقيقة الثورة التي ستكون نهاية لمأساة مجتمع وبداية لصنع وبناء نسق مجتمعاتي جديد.

من خلال ما تم عرضه نتبين الحرص الشديد للشيخ محمد البشير الإبراهيمي لتحقيق مشروعه المجتمعي من خلال:

-عنايته بالنشاط التعليمي التربوي فهو " ليكون وسيلة لتحقيق وتنفيذ مشروعه، ذلك أنه على درجة من الأهمية في بناء الوعي والفكر، من خلال المحافظة على مقومات الأمة الجزائرية، فعمد إلى إقامة منظومة تعليمية يكون فيها المحتوى التعليمي ممنهجاً وقائما على برامج موحدة، كما أقر بأهمية المعلم كونه دعامة المجتمع ، فهو مربي وصانع الأجيال كما الحال بالنسبة إليه"مرشد المعلمين"، إلى جانب العناية بالمتعلم تعليماً وتربيةً ، إذ لا يكفي العلم وحده فلابد من تهذيب النفس وتطوير السلوك ،كما رأى بضرورة إعطاء المدرسة أهميتها في إحياء التعليم خاصة التعليم العربي منه جراء ما أصابه من تزييف وتحريف.

إن الجهود الإبراهيمية في تحقيق مشروع المجتمع الذي نظر إليه لم تتوقف عند النشاط التعليمي التربوي فحسب، فمن خلال نشاطه الجمعوي الإرشادي أظهر تفانيا وإخلاصاً في العمل لأجل تحقيق غايته في بناء مجتمع صالح، وهو ما ترجمته خطاباته الرنانة ومحاضراته في الجمعيات والنوادي التي

أسستها جمعية العلماء، والتي كانت بهدف توعية أفراد المجتمع وتهذيبهم وتنوير عقولهم بضرورة تغيير واقعهم وأنفسهم.

مثل النشاط الإعلامي للشيخ الإبراهيمي وسيلة فعالة لإيصال صوت الجزائريين من خلال تبيان الحقيقة التي يغيبها الاستعمار بخصوص واقع المجتمع الجزائري، وكشف نواياه وسياساته الرامية لتفكيكه،فكانت جريدة البصائر بافتتاحياتها حاملة لقضايا المجتمع الجزائري التي صورها وعبر عنها الإبراهيمي بإسهاب، والهدف من ذلك توعية أفراد المجتمع بحقيقة المستعمر من جهة ودعوته إلى الأخذ بأفكار الإصلاح والتغيير لبناء مجتمع جديد من جهة أخرى، ناهيك عن استغلال الإذاعة لتبليغ نداءاته وخطاباته حول الثورة التي يرى فيها السبيل الأمثل للتصدي لكل محاولات التغريب الاجتماعي الاستعماري، وتأليب الشعب حولها والتعمق في وضع المجتمع خلالها ليكون ذلك فرصة نحو تعميق الوعي لدى الجزائريين بضرورة استغلال الوضع الثوري لإعادة بناء المجتمع.

خاتمة:

خاتمة:

تبنى المفكر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي فكرة إقامة مشروع مجتمعاتي منذ اللحظة الأولى التي وعى فيها بالفكر الإصلاحي وبالواقع الماثل أمامه في ظل الاستعمار الفرنسي، وعبر عن ذلك من خلال عمله الجاد وتفانيه في تنمية فكره وعلمه خدمة لبلاده وشعبه، وتكريس جهوده واجتهاداته الفكرية في سبيل بناء مجتمع صالح متنور من منطلق "الوعي بآلام المجتمع ومشاكله والاشتراك في في فهم ذلك والعمل على مداواته.

وقد صاغ الإبراهيمي مشروعه المجتمعي من منطلق وعيه بواقع مجتمعه وظروفه إلى جانب الظروف الخارجية من تيارات الفكر التنويري الإصلاحي وما يقابلها من رياح التغريب والاسشراق،وقد كان يهدف من وراء هذا المشروع إقامة بناء مجتمعي متناسق يحاكي فكره الإصلاحي والاجتماعي، كما واستطاع الإبراهيمي واستنادا للقاعدة الإصلاحية التي تبناها في مختلف توجهاته ومواقفه أن يعرض لنا أبرز توجهات وأبعاد مشروعه المجتمعي والتي تمثلت في البعد الإصلاحي والاجتماعي والثقافي والسياسي.

كما وعكست أفكار الإبراهيمي الإصلاحية والاجتماعية، مدى وعيه بالمشروع المجتمعي الذي نظر إليه، وتوجيه هذه الأفكار نحو إقامة هذا المشروع استندا على عناصر ومحاور وهي:

-ضرورة البحث عن علل ومواطن الداء في المجتمع واقتراح الحلول لها كخطوة أولى نحو فهم واقع المجتمع والعمل على وضع أرضية جديدة للبناء المجتمعي الجديد.

-العناية بعنصر الشباب والمرأة والأسرة كعناصر أساسية في البناء المجتمعي.

-استناد المشروع المجتمعي الإبراهيمي على محاور هامة يكون فيها للبناء الديني والأخلاقي دور في تحقيق التكامل لهذا المشروع إلى جانب البناء الاجتماعي والاقتصادي.

تحقيقا للمشروع المجتمعي الإبراهيمي، قدم لنا هذا الأخير آليات وطرق هي الأكثر نجاعة وملائمة لتحقيق تصوراته الفكرية بشأن المجتمع الجديد الذي دعا إليه ، والقائمة على العمل التعليمي التربوي انطلاقا من فكرة تعليم وتلقين الفكر الصالح القائم على الدين واللغة ، إلى جانب تهذيب النفس وأخلقة التعليم ، إلى جانب اعتماد العمل الجمعوي الإرشادي تدعيما للعمل الإصلاحي الذي يروم صلاح المجتمع ، ولا يتحقق كلا العملين إلا من خلال جذب الأفراد وتوعيتهم بحقيقة هذا المشروع وأسسه انطلاقا من نشر الفكر الإصلاحي والأفكار المناهضة للاستعمار والتغريب المجتمعي

وهـو مـا اضـطلعت بـه الصـحافة التي كـان للإبراهيمي بـاع كبيـر فيهـا عبـر صـفحات البصـائر وغيرهـا مـن الصحف.

فالمشـروع المجتمعي الـذي طرحـه البشـير الإبراهيمي ، حـاول الارتقـاء بـالفكر الاجتمـاعي والتنـويري مـن إطـاره الثقـافي الاجتمـاعي والإصـلاحي القـائم على إصـلاح المجتمـع بنـاءاً على مجاهداتـه الفكريـة، إلى الإطـار الثـوري القـائم علـى الكفـاح السياسـي كسـبيل أنجـع للتغييـر الـذي لابـد أن يكـون تحقيقـا للمشـروع المجتمعي الاستقلالي.

هـذه الجهـود الإبراهيميـة في تقـديم مشـروع مجتمعي قـد أبانـت عـن جهـد وعمـل جبـارين لا تسـعهما الكلمـات ولا السـطور ، ونحـن بحاجـة إلى قـراءة معمقـة لهـذه الجهود،والاسـتفادة منهـا مـن خـلال إعـادة بعـث أفكـار الإبراهيمي وتصـوراته ومواقفـه بخصـوص المجتمـع مـن جديـد وذلـك في ظـل الرعونـة والـوهن الذي أصاب المجتمع في وقتنا الراهن.

الملاحق:

الملحق رقم1:صورة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي سنة 1937م بتلمسان (الإبراهيمي ج1، 1997، صفحة 4).

تلمسان ، 1937

الملحق رقم2:مخطط العملية التعلمية حسب الإبراهيمي (معزوزن، 2019، صفحة 161).

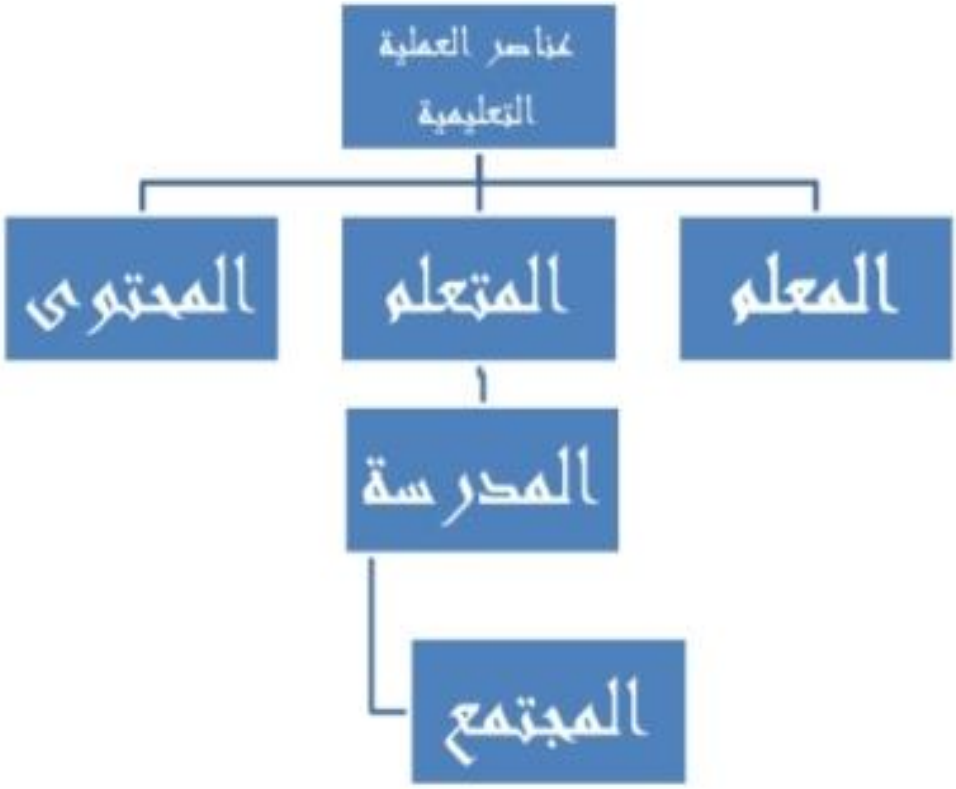

الملحق رقم3:مخطط توضيحي للمدرسة التي ينشدها الإبراهيمي (معزوزن، 2019، صفحة 164).

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادروالمراجع

أولا-المصادر:

1-القرآن الكريم

2-الصحف:

-جريدة البصائر(1936) . العدد (6).

-جريدة المنار (1951).

3-الكتب:

-ابن خلدون عبد الرحمن. (1981). *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر* (الإصدار 1، المجلد 1). بيروت: دار الفكر.

-الإبراهيمي محمد البشير. (2007). *في قلب المعركة*. برج الكيفان، الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع.

-الإبراهيمي أحمد طالب ج1. (1997). *آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي 19129-1940* (الإصدار 1، المجلد 1). بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

-الإبراهيمي أحمد طالب ج2. (1997). *آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (1940-1952)* (الإصدار 1، المجلد 2). بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

-الإبراهيمي أحمد طالب ج3. (1997). *آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (عيون البصائر)* (الإصدار 1، المجلد 3). بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

-الإبراهيمي أحمد طالب ج4. (1997). *آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (1952-1954)* (الإصدار 1، المجلد 4). بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

-الإبراهيمي أحمد طالب ج5. (1997). *آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي(1954-1964)* (الإصدار 1، المجلد 5). بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

-*مقتطفات من آثار محمد البشير الإبراهيمي- منور الأذهان وفارس البيان-*. (2009). الجزائر: المجلس الأعلى للغة العربية.

ثانيا-المراجع:

-ارفيس علي. (2021). بناء المجتمع الجزائري بين التنوير والتحرير في فكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. *مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية ، 10* (2).

-الخطيب أحمد. (1985). *جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

-الزواوي أبو يعلى. (1936). نادي الشبيبة الإسلامية. *جريدة البصائر* (33).

-الطبرسي أبي علي الفضل بن الحسن. (2006). *مجمع البيان في تفسير القرآن* (الإصدار 1، المجلد 10). بيروت: دار المرتضى. أبرير حمودي. (2015). الحركة الإستيطانية في الجزائر وفلسطين بين 1917-1926 مقاربة تاريخية للظاهرة وأثرها على هوية الشعبين. *مجلة علوم الإنسان والمجتمع* (15).

-أوعامري مصطفى. (جويلية, 2021). النشاط الإصلاحي والوطني للشيخ محمد البشير الإبراهيمي بالغرب الجزائري خلال الحرب العالمية الثانية:1939-1945. *مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية ، 13* (2).

-العايب يوسف. (د ت). تجليات ثقافة المقاومة في فكر محمد البشير الإبراهيمي وأدبه.

-بوجلال وردة. (د ت). البعد الإصلاحي في أدب البشير الإبراهيمي الموجه للشباب - مقالة "الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر " أنموذجا-. *مخبر الدراسات الدعوية والاتصالية* .

-بوعزيز يحيى. (1958). *سياسة التسلط الإستعماري والحركة الوطنية الجزائرية1830-1954*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

-بن نافلة يوسف. (2020). الصناعة المعجمية في (رسالة الضب) للشيخ محمد البشير الإبراهيمي الجزائري. *مجلة أمارات في اللغة والأدب والنقد ، 4* (1).

قائمة المصادر والمراجع:

-بـن قويـدر مختـار. (2013). *الجزائـر ومعركتهـا مـع الثـالوث المـدمر: التنصـير والإستشـراق والاسـتعمار،ط1* ، *بيـروت، لبنـان،2013*، (الإصـدار 1). بيـروت، لبنـان: دار الكشـاف للنشـر والطباعة والتوزيع.

-بوحـوش عمـار. (1997). *التـاريخ السياسـي للجزائـر مـن البدايـة إلى 1962*. بيـروت: دار الغـرب الإسلامي.

-بـن خويـة رابـح. (2018). *مـن أنـا؟ محمـد البشـير الابراهيمي سـيرته بقلمـه*. سـطيف: منشـورات الوطن.

-بودلاعـة ريـاض. (2023). الهويـة الوطنيـة فـي خطـاب رجـال جمعيـة العلمـاء المسـلمين الجزائـريين أحمـد توفيـق المـدني1899-1983م أنموذجـا. *مجلـة رؤى تاريخيـة للأبحـاث والدراسـات المتوسطية* ، *4* (1).

-بولفعـة خليفـة. (2022). اسـتراتيجيات الخطـاب التربـوي والإصـلاحي عنـد الشـيخ محمـد البشـير الإبراهيمي. *مجلـة روافـد للدراسـات والأبحـاث العلميـة في العلـوم الاجتماعيـة والإنسـانية* ، *6* (ع خ).

--بـن زاف جميلـة. (2022). المشـكلات الاجتماعيـة مـن منظـور سوسـيولوجي. *مجلـة آفـاق للبحوث والدراسات* ، *5* (1).

-بن زينب شريف. (2017). أنموذج المعلم في تصور البشير الإبراهيمي. *مجلة منيرفا* ، *3* (6).

-بـن علي زهيـر. (2020). المدرسـة الإصـلاحية الجزائريـة ودورهـا في تعلـيم البنـات وإصـلاح المـرأة خلال النصف الأول من القرن العشرين. *مجلة المعيار* ، *24* (51).

-بوجمعـة سـلام. (2016). المعلمـون والمدرسـة فـي الفكـر التربـوي للبشـير الإبراهيمـي. *مجلـة العلوم الإنسانية والاجتماعية* (27).

-بوسـعيد سـومية. (2021). المجلـس الجزائـري وقضـية فصـل الـدين عـن الدولـة-قـراءة لمواقـف الشيخ الإبراهيمي-. *مجلة قضايا تاريخية* (14).

قائمة المصادر والمراجع:

-بريك ابراهيم. (2018). التجديد في المجال التربوي والثقافي عند الشيخ البشير الإبراهيمي. *مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي ، 5* (2).

-بن الحجاج أبي الحسين مسلم. (1998). *صحيح مسلم*. الرياض: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع.

-بالولي أحلام. (2018). مظاهر الإصلاح في مقالات عيون البصائر لمحمد البشير الإبراهيمي. *مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية ، 6* (15).

-بلاح بشير. (2006). *تاريخ الجزائر المعاصر1830-1989* (المجلد 1). باب الوادي، الجزائر: دار المعرفة.

-بلاح بشير. (2013). *مواقف الحركة الإصلاحية الجزائرية من الثقافة الفرنسية 1925-1940*. عالم المعرفة.

-بن سباع صليحة بوعزة. (2016). الجمعيات الثقافية في مواجهة سياسة التنصير في الجزائر-جمعية ابن باديس نموذجا-. *مجلة مجتمع تربية عمل* (2).

-بن علي امحمد. (2011). واقع التربية والتعليم في الجزائر خلال مرحلة الاستعمار الفرنسي. *مجلة عصور الجديدة* (1).

-بن ملوكة بلخير. (2013). قيم المجتمع الجزائري بين الأصالة والتغريب. *مجلة أنسنة للبحوث والدراسات* (7). -بوتشيشة عبد القادر. (2019). لافيجري و التنصير في الجزائر: ضخامة الإمكانيات و الجهود و ضآلة النتائج و المردود. *مجلة آفاق علمية ، 11* (2).

-بوصفصاف عبد الكريم. (2007). *رواد النهضة والتجديد في الجزائر 1889-1965* (الإصدار 1). عين مليلة، الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

-بوصفصاف عبد الكريم. (2009). *جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية1931-1945* (الإصدار 1). الجزائر: عالم المعرفة.

قائمة المصادر والمراجع:

-بن عدة عبد المجيد. (د ت). محمد المنصوري الغسيري1912-1974 جوانب من سيرته الذاتية وجهوده الإصلاحية من خلال جريدة البصائر. *دراسات تاريخية* (12-13).

-بودلاعة رياض. (2023). الهوية الوطنية في خطاب رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أحمد توفيق المدني1899-1983م أنموذجا. *مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية ، 4* (1).

-بن اسماعيلي محمد. (2001). *مشايخ خالدون و علماء عاملون* (الإصدار 4).

-بوزوزو محمد. (1951). رجال الغد. *جريدة المنار* .

-بوعلام رزيق. (2023). أسئلة الهوية في كتابات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. *مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، 15* (2).

ترشاق سعاد. (2020). قضايا الهوية والمشكلات الثقافية في نصوص البشير الإبراهيمي. *مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية* (2).

-تومي سعيدة. (2020). أنساق الإسلام والعروبة والوطن في خطابات البشير الإبراهيمي. *مجلة الآداب واللغات ، 6* (12).

-تركي رابح. (1975). *التعليم القومي والشخصية الوطنية 1931-1956*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

-تركي رابح. (2001). *الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر* (الإصدار 5). الجزائر: المؤسسة الوطنية للإتصال و النشر و الإشهار.

-تركي رابح. (2003). *الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة* (الإصدار ط2). الجزائر: موفم للنشر.

-جباري سامية. (2023). البشير الإبراهيمي رجل الفكر والعلم والإصلاح-قراءة في فكره السياسي-. *مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية ، 15* (4).

-حميداتو علي ، و عطا الله محمد. (2018). دور محمد البشير الإبراهيمي في الدفاع عن اللغة العربية في الجزائر من خلال مؤلفاته بين المحافظة والإحياء-. *مجلة الصوتيات ، 20* (1).

-حارش عبد الحق. (2013). مبادئ الوطنية وآليات ترسيخها عند محمد البشير الإبراهيمي. *مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، 15* (1).

-حلوش عبد القادر. (2010). *سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر*. دار الأمة.

-حمودي السعيد. (2017). سمات الخطاب عند محمد البشير الابراهيمي"قضية فصل الدين عن الدولة " أنموذجا. *مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية ، 5* (10).

-حوتية محمد ، و آخرون. (2016). *النضال السياسي والجمعوي للوطنيين الجزائريين بالمشرق العربي خلال الفترة 1910-1954 م، منشورات المركز الوطني للدراسة والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954* . بومرداس: الأمال للطباعة والنشر والتوزيع.

-حليمي مصطفى. (2013-2014). صراع رجال الإصلاح مع الإدارة الإستعمارية 1931-1956(رسالة ماجستير). جامعة الجيلالي ليابس.

-خليفي عبد القادر. (د ت). سياسة التنصير في الجزائر. *مجلة المصادر* (2).

-داروشة حسين عمر. (2018). مقومات الإصلاح اللغوي وبعدها الحضاري في آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي. *مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب* (3).

-دبوز محمد علي. (د ت). *نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة* (المجلد ج1).

-دبوزعلي. (1974). *أعلام الإصلاح في الجزائر*. المطبعة العربية.

-ذوادي بلقاسم. (د ت). معالم الفكر الإصلاحي والتربوي عند محمد البشير الإبراهيمي حكيم العلماء وعالم الحكماء.

-رزيق بوعلام. (2023). أسئلة الهوية في كتابات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. *مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، 15* (2).

-رمضاني عنتر ، و حيمور سهى. (2021). جهود العلامة محمد البشير الإبراهيمي في النهضة باللغة العربية في الجزائر. *مجلة كفاية للغة والأدب ، 1* (2).

-زرمان محمد. (د ت). جمعية العلماء ومنهجها في تجديد العقيدة الإسلامية.

-زميل جورج. (2017). *الفرد والمجتمع المشكلات الأساسية للسوسيولوجيا* (الإصدار 1). رؤية للنشر والتوزيع.

-زوزو عبد الحميد. (1985). *الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919-1939)*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

-زوزو عبد الحميد. (2010). *نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر المعاصر1830-1900*. الجزائر: موفم للنشر.

-سعد الله أبو القاسم. (1992). *الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930* (الإصدار 4، المجلد 2). بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

-سعد الله أبو القاسم. (1996). *أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر* (الإصدار 1، المجلد 4). بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

-سعد الله أبو القاسم. (1998). *تاريخ الجزائر الثقافي* (الإصدار 1، المجلد 5). بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

-سعد الله أبو القاسم. (2007). *تاريخ الجزائر الثقافي1830-1954* (المجلد 6). الجزائر: دار البصائر.

-سعد الله أبو القاسم. (2007). *تاريخ الجزائر الثقافي1954-1962* (المجلد 10). الجزائر: دار البصائر.

-سعد الله أبو القاسم. (2009). *محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث*. الجزائر: عالم المعرفة.

-سعد الله أبو القاسم. (1996). *أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر* (الإصدار 1، المجلد 4). بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

-سباعي عبد القادر ، و برشان محمد. (2018). الجزائريون بين الصفة والمواطنة الفرنسية قراءة في مرسوم التجنيس1865م. *المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية ، 4* (8).

-سعد طه. (2019). مواجهة التنصير في الجزائر من خلال جريدة البصائر الإصلاحية. *مجلة قضايا تاريخية ، 4* (2).

- السعيد حمودي. (2017). سمات الخطاب عند محمد البشير الابراهيمي"قضية فصل الدين عن الدولة " أنموذجا. *مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية ، 5* (10).

-السمالوطي نبيل. (1998). *بناء المجتمع الإسلامي* (الإصدار 3). الشروق للنشر والتوزيع والطباعة.

--شطة مصطفى. (2015). من قضايا الفكر الإصلاحي الديني عند الشيخ البشير الإبراهيمي. *مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية ، 2* (2).

-شهي عبد العزيز. (د ت). *الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر*. وهران: دار الغرب للنشر والتوزيع.

-صداق فضيل ، و حمحامي مختار. (2020). أثر البيئة التعليمية في التكوين العلمي للبشير الإبراهيمي. *مجلة لغة الكلام ، 6* (1).

-الصلابي علي محمد محمد. (د ت). *كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر* (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار المعرفة

-ضيف الله محمد الأخضر. (1980). *محاضرات في النهضة العربية الحديثة*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

-ضيف غنية. (د ت). المسألة النسائية في الفكر الإصلاحي : قراءة في الإصلاحية الباديسية. *مجلة دفاتر علم الاجتماع* .

-ضيف عبد المالك. (2022). المنحى التعليمي في مقالات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. *مجلة كفاية للغة والأدب ، 2* (1).

قائمة المصادر والمراجع:

-عاشوراكس أحمد محمد. (2009). *صفحات تاريخية خالدة من الكفاح الجزائري المسلح ضد جبروت الاستعمار الفرنسي الاستيطاني1500-1962*. ليبيا: المؤسسة العامة للثقافة.

-علالي بلقاسم. (2008-2009). الطلاق في المجتمع الجزائري(رسالة ماجستير في علم الاجتماع الديني). الجزائر، قسم علم الاجتماع: جانعة الجزائر.

-عطا الله محمد. (2011). الخطاب الحجاجي في المقالات الإصلاحية لمحمد البشير الإبراهيمي مقاربة لغوية دلالية (رسالة ماجستير). جامعة باتنة.

-عمارة محمد. (د ت). *الشيخ البشير الإبراهيمي إمام في مدرسة الأئمة*. القاهرة: دار السلام للطباعة وللنشر والترجمة.

-غانم العربي. (2012-2013). سياسة الإصلاحات الفرنسية في الجزائر وردود الفعل الوطنية(رسالة ماجستير). جامعة قالمة.

-فلوسي مسعود. (2002). لمحات من الفكر الفقهي عند محمد البشير الإبراهيمي. *مجلة الإحياء* (5).

-فايد بشير. (2009-2010). قضايا العرب والمسلمين في آثار الشيخ البشير الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان -دراسة تاريخية وفكرية مقارنة-(أطروحة دكتوراه) جامعة منتوري قسنطينة.

-فراج وسيلة. (2019). المنظومة التربوية التعليمية عند الشيخ البشير الإبراهيمي. *مجلة قضايا تاريخية ، 4* (1).

-قرود أحمد. (د ت). مظاهر الفكر التربوي والإصلاحي عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي كنموذج. *مجلة الباحث للعلوم الرياضية والاجتماعية* (6).

-قندل جمال. (2014). الدور النافذ للشيخ محمد البشير الإبراهيمي في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين1931-1956. *مجلة عصور* (22-23).

-قـرة عائشـة. (2018). دور صـحافة العلمـاء المسـلمين الجزائـريين في تعزيـز مكانـة المـرأة في المجتمـع الجزائـري - قـراءة في صـحف جمعيـة العلمـاء المسـلمين-. *مجلـة آفـاق للبحـوث والدراسـات ، 2* (2).

-قرنـاب عبـد الـرؤوف. (2014-2015). *جهـود علمـاء الجزائـر فـي الـرد علـى التنصـير إبـان الاحتلال الفرنسي (1830-1962)*. الجزائر، كلية العلوم الاسلامية: جامعة الجزائر1.

-قنـدوز عبـد القـادر. (2007-2008). الحركـة الإصـلاحية في منطقـة الزيبـان و ميـزاب سـنتي 1920-1954(رسالة ماجستير) جامعة بن يوسف بن خدة.

-القاضـي عثمـان بـن عبـد الحفـيظ. (2021). *الإصـلاح العقـدي عنـد البشـير الإبراهيمي مجالاتـه ومعالمه، آثاره وأبعاده* (الإصدار 1). القاهرة، مصر: مؤسسة دراسات تكوين للنشر والتوزيع.

-قيـاس لينـدة. (د ت). الخطـاب الإصـلاحي في فكـر عبـد الحميـد بـن بـاديس مقاربـة تداوليـة (أطروحة دكتوراه). جامعة باتنة.

-قبـال مـراد. (2018). السياسـة الاجتماعيـة الفرنسـية في الجزائـر أهـدافها وتـداعياتها(1830-1939). *مجلة القرطاس* .

-قفـاف عبـد الرحمـان. (2019). إسـهامات الشـيخ البشـير الإبراهيمي في بلـورة فكـرة تأسـيس جمعيـة العلمـاء المسـلمين وأشـكال مـن مجابهتـه للإسـتعمار الفرنسـي الجزائـريين. *مجلـة قضـايا تاريخية ، 4* (1).

-لهلالي إسـعد. (2019). الأسـرة الجزائريـة في نضـال الحركـة الوطنيـة الجزائريـة. *مجلـة البحـوث التاريخية ، 3* (1).

-لبيـد عمـاد. (2010-2011). الإسـتيطان والتـوطين: الإسـتعمار الفرنسـي في الجزائـر والحركـة الصهيونية في فلسطين دراسة مقارنة(رسالة ماجستير). جامعة الجزائر3.

-لحبيب ربيع. (د ت). لمحات سوسيولوجية عن الأسرة الجزائرية.

-لولي حسيبة. (2016). الشباب قراءة في مقارباته وخصائصه. *مجلة المربي* (19).

-لدرع كمال. (د ت). منهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ممارسة النصيحة وأثرها في إصلاح الواقع الاجتماعي الجزائري.

-مطبقاني مازن صلاح أحمد. (1984-1985). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1939م(رسالة ماجستير). جامعة الملك عبد العزيز.

-مليت فؤاد. (د ت). البعد التنويري في حركة الإصلاح الجزائري وموضوعة القابلية للاستعمار في فكر الإمام محمد البشير الإبراهيمي.

-محدادي محمد. (2010-2011). الحركة الإصلاحية في الأوراس ودورها الثقافي والإجتماعي إبان الفترة الكولونيالية 1931-1956(رسالة ماجستيرر). جامعة باتنة.

-مهداوي محمد. (1988). *البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه* (الإصدار 1). دمشق: دار الفكر.

-مغازي أحمد. (د ت). فلسفة الإصلاح عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي من خلال آثاره.

-المدني أحمد توفيق. (1931). *كتاب الجزائر*. المؤسسة الوطنية للكتاب.

-معن خليل عمر. (2005). *علم المشكلات الإجتماعية* (الإصدار 1). عمان-الأدرن: دار الشروق للنشر والتوزيع.

-معزوزن سمير. (2019). التفكير التربوي عند البشير الإبراهيمي (1889-1965). *مجلة ميلاف للبحوث والدراسات ، 5* (2).

-مقلاتي عبد الله ، وبوجمعة أكرم. (2016). دور الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في دعم الثورة الجزائرية (1954-1962). *مجلة قضايا تاريخية للبحوث والدراسات* (2).

-مكرم عبد العال سالم. (1988). *أثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع* (الإصدار 1). بيروت: مؤسسة الرسالة.

-منديب عبد الغني. (2006). *الدين والمجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب*. الدار البيضاء، المغرب: أفريقيا الشرق.

-مراد علي. (2007). *الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر بحث في التاريخ الديني والإجتماعي من 1925 إلى 1940*. (محمد يحياتن، المترجمون) الجزائر: دار الحكمة.

-مولى فريدة. (2020). المشروع النهضوي الإبراهيمي،قراءة في خطابه الأخلاقي. *مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية* (2).

-نافع نوارة. (د ت). مكانة المرأة في المجتمع الجزائري. *مجلة دراسات اجتماعية* (11).

-نويهض عادل. (1980). *معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر* (الإصدار 2). بيروت، لبنان: مؤسسة نويهض الثقافية.

-نويهض عادل. (2012). *البشير الإبراهيمي عظيم الجزائر* (الإصدار 1). الجزائر: دار الأبحاث.

- هرنون نصيرة. (2018). المشروع الإصلاحي عند عبد الحميد بن باديس. *مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية* (5).

-هلال عمار. (2007). *الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام1847-1918م*. الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.

-هواري منيرة. (2022-2023). المدارس الحرة في الجزائر ودورها في التصدي للسياسة الثقافية الاستعمارية1919-1954(أطروحة دكتوراه). جامعة الجلفة.

-هزرشي بشير. (2016). ديوان الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. الجلفة.

-والي عبد الهادي محمد. (2005-2006). *تاريخ التفكير الإجتماعي*. منتدى سور الأزبكية.

-وعلي محمد الطاهر. (1997). *التعليم التبشيري في الجزائر 1830-1904*. الجزائر: منشورات دحلب.

-الوكال زرارقة. (2013). الفكر الإصلاحي الجزائري في "الشهاب" ودوره في مقاومة مظاهر الانحراف الديني والاجتماعي. *مجلة الدراسات الإسلامية* (3).

-يحياوي زكية. (2022). شخصية الشيخ البشير الإبراهيمي وأثرها على الفكر التربوي. *مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية* ، 6.

المراجع باللغة الفرنسية:

F.Colonna. (1972). Turin Yvone Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale.Ecoles,Médecines et Religion. *Revue française de sociologie , 13* (1).

Kharchi, D. (2004). *Colonisation et politique d'assimilation en Algérie1830-1962.* Alger: -édition Casbah.

فهرس المحتويات:

فهرس المحتويات:

Sommaire

مقدمة:..... أ

الفصل الأول: محمد البشير الإبراهيمي وجذور فكره الاجتماعي والإصلاحي..8

المبحث الأول: ترجمة لشخصية محمد البشير الإبراهيمي.....8

1-المولد والنسب.....8

2-نشأته وتعليمه:.....8

3- وفاته وآثاره:.....9

المبحث الثاني: جذور الفكر الاجتماعي لدى محمد البشير الإبراهيمي. 10

1-التنشئة الأسرية للإبراهيمي: 10

2-المحيط المجتمعي المحلي 11

3-المحيط المجتمعي الفرنسي.....12

4-تنقلاته ورحلاته للمشرق.....13

المبحث الثالث: جذور الفكر الإصلاحي لدى محمد البشير الإبراهيمي.....14

1-التربية الدينية للإبراهيمي:.....15

2-جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:.....16

3-الأفكار الإصلاحية في العالم الإسلامي:.....18

الفصل الثاني:مشروع المجتمع الإبراهيمي قراءة في الظروف الأهداف والأبعاد 22

المبحث الأول:ظروف تبلور مشروع المجتمع في فكر الشيخ البشير الإبراهيمي.....23

1-الظروف الداخلية:.....23

2-الظروف الخارجية:.....25

المبحث الثاني: أهداف مشروع المجتمع في فكر البشير الإبراهيمي.....30

1-التأكيد على الثوابت الوطنية وترسيخها في المجتمع:.....30

2-الإصلاح العقائدي والديني:.....33

3-بناء مجتمع متماسك أخلاقيا واجتماعيا:.....34

4-خلق مجتمع يعنى بالتربية والتعليم والنهضة:.....35

المبحث الثالث: أبعاد المشروع المجتمعي في فكر البشير الإبراهيمي. 36

1-البعد السياسي:.....36

2-البعد الثقافي الديني:.....38

3-البعد الاقتصادي والاجتماعي:.....39

الفصل الثالث:عناصر المشروع المجتمعي لمحمد البشير الإبراهيمي وأبرز محاوره.....42

المبحث الأول: أولويات مشروع المجتمع لدي البشير الإبراهيمي.....43

1-البحث عن العلل وإقرار مواطن الداء في المجتمع:.....43

2-إيجاد الحلول (وصف الدواء لعلل المجتمع):.....46

المبحث الثاني: عناصر البناء المجتمعي لدى البشير الإبراهيمي. 49

1-الشباب:.....49

2-المرأة:.....52

3-الأسرة:.....55

المبحث الثالث: محاور المشروع المجتمعي لدى محمد البشير الإبراهيمي. 57

1-البناء الديني والعقائدي:.....57

2-البناء التربوي والأخلاقي:.....59

3-البناء الاجتماعي والاقتصادي:.....61

الفصل الرابع:آليات تحقيق مشروع المجتمع لدى الشيخ محمد البشير الإبراهيمي.....67

المبحث الأول: العمل التعليمي التربوي. 68

1-الاهتمام بالعملية التعليمية التربوية ومحتواها:.....69

2-العناية بالمعلم والمتعلم:.....73

3-إقامة المدارس:.....76

المبحث الثاني: العمل الجمعوي الإرشادي.....78

1-العناية بالجمعيات والنوادي:.....78

2-خطابات الوعظ والإرشاد:.....79

المبحث الثالث: العمل الإعلامي.....83

1-النشاط الصحفي:.....83

2-النشاطالإذاعي:.....86

خاتمة: 91

الملاحق:..... 94

قائمة المصادر والمراجع:..... 98

فهرس المحتويات:.....112

ملخص الدراسة:

تناولت دراستنا موضوع مشروع المجتمع في فكر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي.

هذا الموضوع الذي يدرس ويحلل بعمق الفكر الإبراهيمي في جانبيه الإجتماعي والسوسيولوجي والإصلاحي، والذي يترجم لنا تصوراته وآراءه بخصوص إقامة مشروع مجتمعاتي يعكس لنا تلك الظروف التي عاشها وعايشها محمد البشير الإبراهيمي.

كما وتقدم لنا الدراسة المعمقة للموضوع أبرز العناصر والأبعاد التي استند عليها البناء المجتمعي للإبراهيمي من خلال عنايته بالشباب والمرأة والأسرة، وتأكيده على البعد السياسي والاجتماعي والديني كأبعاد هامة لمشروع المجتمع الذي نظر له.

بالمقابل حدد لنا أبرز المحاور التي لابد منها لبناء المجتمع واعتبرها لبنة أساسية لإقامة نسق اجتماعي صالح (البناء العقائدي-البناء التربوي الأخلاقي-البناء الإجتماعي والاقتصادي).

ولأن الفكرة لتدوم وتتحقق تحتاج إلى تجسيدها، كذلك المشروع المجتمعي للإبراهيمي كفكرة لابد من تحقيقه وهذا ما سعى إليه شيخنا بتقديمه لطرق وآليات أبانت عن جهد ووعي كبيرين من قبله بضرورة إنجاح وتحقيق فكره المجتمعي، من خلال تبني العمل التعليمي التربوي الذي هو أساس نجاح مشروع المجتمع ذلك أنه يغوص في عمق البناء الاجتماعي ويستجلي الصالح منه والطالح، منه إلى العمل الجمعوي الإرشادي الذي هو بمثابة مكمل لعملية التربية والتعليم، منه إلى العمل الإعلامي (صحافة وإذاعة) بإذاعة صوت الإصلاح والتغيير في المجتمع.

وقد استطاع الإبراهيمي أن يثبت لنا نجاعة هذه الأساليب لاشك في تحقيق تصوراته بشأن إقامة نسق مجتمعي مغاير للواقع الماثل أمامه.

Study Summary :

. Our study addressed the topic of the community project in the thought of Sheikh Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi.

This topic, which in-depth studies and analyzes Ibrahimi's thought in its social, sociological, and reformist aspects, translates his visions and views regarding the

establishment of a community project, reflecting the circumstances in which Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi lived and experienced.

The in-depth study of the topic also presents the most prominent elements and dimensions upon which Ibrahimi's community structure was based, through his attention to youth, women, and the family, and his emphasis on the political, social, and religious dimensions as important dimensions of the community project he envisioned.

Conversely, he identified the most important axes necessary for building a community, considering them a fundamental building block for establishing a sound social system (ideological construction, moral educational construction, and social and economic construction).

Just as an idea needs to be embodied in order to endure and be realized, so too must Al-Ibrahimi's societal project, as an idea, be realized. This is what our Sheikh sought to achieve by presenting methods and mechanisms that demonstrated his great effort and awareness of the necessity of ensuring the success and realization of his societal idea.

This was achieved by embracing educational and pedagogical work, which is the foundation of the success of the societal project. This work delves deeply into the social structure and uncovers both the good and the bad. This work then extends to community guidance work, which complements the educational process, and to media work (press and radio), which broadcasts the voice of reform and change in society.

Al-Ibrahimi was able to prove to us the undoubted effectiveness of these methods in realizing his vision of establishing a societal system that differs from the reality before him.